الباب الثاني
سياسة الأمويين نحو دول المغرب في عصر الخليفتين
عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول
في عصر عبد الرحمن الناصر
(316 هـ ـ 350 / 929 ـ 961 م)

الصراع بين عبد الرّحمن النّاصر والفواطم في بلاد المغرب :

لا غرو أن قيام خلافتين متجاورتين ، تتنازعهما مبادىء مذهبية مختلفة ، كان من شأنه أن يحدث تنافسا بينهما على السلطة وامتداد النفوذ ، ويؤدي بهما حتما في النهاية الى الاصطدام المسلح ، وهذا ما حدث فعلا ، في العقد الأول من القرن الرّابع الهجري / العاشر الميلادي بين الخلافة الفاطميّة الشّيعيّة في المغرب ، والخلافة الأمويّة السنيّة في الأندلس (1) .

فالفواطم منذ تأسيس دولتهم في بلاد المغرب ، أخذوا يفكرون في غزو الأندلس وكان عبيد الله المهدي ، بالإضافة الى ما يقوم به من أعمال حربيّة وتوسّعيّة في افريقيّة والمغرب مشغولا أيضا باعداد الدعاة المهرة ، الذين انتقاهم من بين العلماء ، المخلصين لمبادىء الشّيعة ، وارسالهم الى بعض الأقاليم ، في العالم الإسلامي ، لبث دعوة الفواطم ، ونشر مبادئهم ، ولا سيما في أرض الاندلس ، حيث يوجد أعداؤهم التقليديون بنو أميّة ، ليمهدوا الطريق أمام الغزو الفاطمي بالدعاية ، وبث الأفكار الشّيعيّة ، في ربوع الأندلس من جهة ، وبالجاسوسيّة من جهة أخرى ، لمعرفة الأحوال السّياسيّة ، والإقتصاديّة والدّينيّة للبلد المقصود ، والتركيز على مواطن الضعف والقوّة فيه ، وقد كلّف بهذه المهمّة ، مجموعة من الجواسيس والدعاة ، الذين قام الفاطميون بتجنيدهم لحسابهم الخاص . وكان هؤلاء الجواسيس والدعاة

---

(1) د . احمد مختار العبادى : دراسات ص 65

يخفون أهدافهم الحقيقيّة ، وراء ستار من المصالح المشروعة ، كالتجارة أو العلم أوالسّياحة الصّوفيّة (1) .

وقد انتشرت عيون الفواطم ، بشكل ملحوظ في نهاية القرن الثّالث ، وخلال القرن الرابع الهجري ، في جميع الأقطار الإسلاميّة ، والواقع أن الدعوة الإسماعليّة ، ربما كانت خير دعوة . عرفت كيف تستغل سلاح الجاسوسيّة بمهارة وأحكام ، وكان الفاطميون في إفريقية والمغرب ، يجسون النبض ويترقبون الفرصة للهجوم ، أما شرقا نحومصرأو غربا نحو الأندلس (2) .

ومن بين هؤلاء الدعاة والجواسيس ، الذين استخدمتهم الدولة الفاطميّة ، في أغراضها الدعائيّة والتجسّسيّة في الأندلس : **أبو اليسر ابراهيم بن محمّد الشيباني المعروف بالرّياضي** (توفي سنة 298 هـ / 910 م) ، ويبدو أنّه أول جاسوس مشرقي ، دخل ارض الأندلس ، وقد كان شاعرا مفوها ، ومغامرا وأديبا محتالا ، قدم الى الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط وقدم له كتابا مفتعلا ، على لسان أهل الشام ، مظهرا فيه الدعوة والولاء لبني أميّة ، لكن عبد الرّحمن الأوسط ، فطن للعبتة بعد أن اطلع على الكتاب المخترق المصنوع (3) . عند ذلك لم يجد «الرّياضي» بدا ، من مغادرة الأندلس ، الى مصر بعد أن انكشف أمره ، وهناك قبض عليه حاكم مصر أحمد بن طولون (254 هـ ـ 868/270 ـ 883) (4) ، بعد أن ثبت أنه يعمل لصالح الفاطميين ولم تذكر المصادر كيف ومتى تخلص من سجنه في مصر فقد ظهر الرّياضي هذا ، في القيروان يشغل منصب الكتابة ، في عهد ابراهيم بن أحمد الثّاني ، وعبد اللهبن ابراهيم الثاني ، وزيادة الله الثالث ، اخر أمراء الأغالبة في رقادة . كما تولى أيضا في أيام هذا الأخير ، شؤون بيت الحكمة ، الى جانب وظيفته الرّئيسيّة وهي الكتابة (5) .

---

(1) محمود علي مكي : الشيخ في الأندلس ص 19 ـ د . أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ص 13 .

(2) محمد علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 20

(3) ابن عذاري : البيان ، جـ1 ص 162

(4) اخبار مجموعة ، ص 147

(5) المقرى : نفح الطيب ، جـ2 ص 131

ولما استولى الفاطميون على المغرب ، استمر أبو اليسر الرياضي في وظيفته كاتبا لعبيد الله المهدى (297 ـ 322 هـ / 909 ـ 933 م) (1) . ولعلها مكافأة له من الخليفة الفاطمي ، على ماقدمه من خدمات للشيعة ، ويبدو أنه كان مخلصا في تشيعه ودليل ذلك ، ماذكره ابن عذارى من أن أبا عبد الله الشيعي ، فضَّل أن يصطحبه معه ، عندما توجه الى مدينة سجلماسة ، لتخليص سيده عبيد الله المهدى ، من سجن المدرارين (2) .

واذا كان ابو اليسر الرياضي ، لم يوفق كل التوفيق في مهمته السياسية في الأندلس ، فقد نجح الى حد ما ، في نقل بعض الثقافة الادبية الشيعية اليها ، ولا سيما شعر أبي تمام ، ودعبل الخزاعي ، الذي كان يعتبر من أهم السنة الشيعة في المشرق (3) . كما كانت له مؤلفات انتشرت في بلاد الأندلس (4) .

وأما الداعي الثاني **فهو ابو جعفر بن احمد بن هارون البغدادى** (عاصر المهدى وابنه القائم) ، تولى الكتابة لعبيد الله المهدى ، بعد وفاة أبي اليسر سنة 298 هـ / 910 م ، وكان ابن هارون هذا ، قد تردد عدة مرات على الأندلس ، متسترا بستار العلم ، والظاهر أن القصد من هذه الزيارات المتكررة ، التجسس لحساب صاحب المهدية (5) . وفيما يبدو أنه نجح فيما لم ينجح فيه ، أبو اليسر الرياضي من قبله ، فقد أفاد الفواطم بمعلومات ، على جانب كبيرمن الأهمية ، تتعلق بأوضاع الأندلس السياسية والاجتماعية والدينية .

ونظرا لتجربته الطويلة ، وفراسته في فن التجسس ، فقد أسند اليه عبيد الله المهدى خطة البريد ، بالاضافة الى ما كان يتولاه من الكتابة ، ولم يزل يتولى هذه المناصب الى أن توفي (6) .

---

(1) ابن عذاري : البيان ، جـ1 ص 163

(2) نفس المصدر ، جـ1 ص 152 ـ 153

(3) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 21

(4) ابن عذاري : المصدر السابق ، جـ1 ص 163 ـ المقرى : نفح الطيب ، جـ4 ص . 130 .

(5) راجع محمود علي مكي : المرجع السابق ، ص 21

(6) ابن عذاري : البيان ، جـ1 ص 169

ويرجع الفضل الى أبي جعفر بن هارون ، في نشر تعاليم الشيعة الفاطميين ، وكذلك افكار المعتزلة في الأندلس ، ويجب أن يلاحظ هنا ما بين الفاطميين والمعتزلة من التقارب الوثيق في أصول تفكيرهم ، إذ أن الإعتزال يُعد خطوة ممهدة للدخول ، في المذهب الاسماعيلي (1) .

وكان الداعي أو الجاسوس الثالث ، هو الرحالة **ابن حوقل النصيبي** (توفي سنة 367 هـ / 1977 م) . فقد دخل هذا الرجل الأندلسي ، تحت ستار التجارة ، إذ تسميه بعض النصوص التاريخية بالتاجر الموصلي (2) .

ولا شك أنه دخل الى هذا البلد ، جاسوسا لمصلحة الفواطم ، حسبما يشير أحد المستشرقين الغربيين (3) . ودليل ذلك اهتمامه الكبير بمسالك الأندلس وطرقها ، واعتناؤه في تقريره ، الموجه الى الفاطميين ، بابراز خيراتها الزراعية والمعدنية ، ووصف عسكرها بقلة الشجاعة ، كما رمى أهلها بالضعف وعدم القدرة على الدفاع عن وطنهم ، والظاهر أن الغرض من هذا الوصف ، هو حفز همم الفواطم وتشجيعهم لغزو الاندلس ، وقد جاء في تقريره مايلي : « ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة ، بقاؤها على من هي في يده ، مع صغر أحلام أهله ، وضعة نفوسهم ، ونقص عقولهم ، وبعدهم من البأس ، والشجاعة ، والفروسية ، والبسالة ، ولقاء الرجال ومراسي الانجاد ، والابطال ، وعلم مواليانا عليهم السلام بمحلهافي نفوسها ومقدار جباياتها ، ومواقع نعمها ، ولذاتها ... وليس بجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية ، وقوانينها ، وأن شجعت انفسهم ، ومرنوا بالقتال ، فإن أكثر حروبهم تنصرف على الكيد والحيلة ، ولا رأيت ولا رأى غيري بها انسانا قط جرى على فرس قاره برذون هجين ، ورجلاه في الركابين ولا يستطيعون ذلك ، ولا بلغني عن أحد منهم يخوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم ، وهم يفرسون على الاعراء من الخيل .. »(4) .

---

(1) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 22

(2) ياقوت الحميري : معجم البلدان ، ج 1 ص 348

(3) Dozy : Histoire des musulmans d'Espagne, T 2., p. 125

ويذكر شكيب أرسلان أنه كان يعمل لصالح العباسيين ، أنظر : الحلل السندسيّة في الأخبار والآثار الأندلسية ص 43 حاشية رقم (2) ط . بيروت بدون تاريخ .

(4) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 104 ـ 105 ـ 108

ويبدو أن مشروع ابن حوقل وتقريره ، لم يجد العناية الكافية والتأييد المطلق ، من جانب الدولة الفاطمية ، لان نجاح دعاتها ، في جذب الانصار والمؤيدين لها في بلاد الأندلس ، كان محدودا والسبب في ذلك يرجع الى النفوذ القوى الذى يتمتع به الحزب الاموى في هذا البلد .

ولكن على أية حال فقد أستطاع الفاطميون ، أن يضموا الى صفوفهم بعض الشخصيات الأندلسية (1) . وتمكنوا من أخذ ولائهم مثل : الثائر ابن حفصون في جنوب الأندلس ، وقد سبق الكلام عنه ، والقائد علي بن حمدون الجذامى المعروف بابن الأندلسي ، الذي كان أبوه حمدون ـ عميد الأسرة ـ قد قدم من البيرة بالأندلس ، الى منطقة بجاية (بالجزائر) ، وبلاد كتامة (منطقة القبائل الصغرى بالجمهورية الجزائرية) ، حيث انتصر دعاة الشيعة الاسماعيلية ، بجبل ايكجان (بنواحي سطيف) وغيرها (2) ، ولعله كان يعمل في الأندلس ، على نشر دعوة الشيعة ، ولا يستبعد أن تكون له صلة ، بمراكز الاسماعيلية في المشرق ، ومهما يكن من أمر ، فاذا كان دور « حمدون » يتسم بالغموض فإن دور ابنه « علي » ، يبدو واضحا جليا في نشر الدعوة الاسماعيلية ، وتوطيد اركان الدولة الفاطمية ، فقد تزوج من كتامة ، وصحب ابا عبد الله الداعي ، الظاهر بالدعوة فاستهواه وغلب على قلبه ، ودخل في مذهبه ، وكان اسمه « ثعلبة » وابو عبد الله الشيعي ، هو الذي سماه « عليا » فاستمر به (3) .

أما محمد أخوه ، فهو الذي صاحب الداعي الحلواني ، الى بلاد كتامة ، كما أن عليا قد صحب عبيد الله المهدى من سجلماسة الى مدينة رقادة (4) ، وهو الذي ارسله الخليفة الفاطمي عبيد الله ، الى المشرق في بعض المهام ، فاحكم انجازها وعاد الى افريقية ، فازداد بذلك حُظْوة عند عبيد الله المهدي (5) ، وقام بخدمة الدولة الفاطمية

---

(1) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ص 23 ـ د أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص 66 .

(2) Fournel : Les Berbères, étude sur la conquête de l'Afrique par les textes arabes imprimés, T. 2., p. 54.

(3) ابن حيان : المقتبس ، ص 34 تحقيق عبد الرحمن على حجي ، ـ ابن عذاري ، ج2 ص 242 .

(4) د . محمد العيلاوي : بلاط بني حمدون بالمسيلة ص 49 مقال بمجلة الأصالة عدد 24 مايو ابريل قسنطينة 1975 ـ أنظر : مقال الدكتور ابراهيم فخار : بنوبرزال في المسيلة ، بمجلّة الثّقافة الجزائريّة عدد 20 الجزائر 1974 .

(5) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 34 .

الناشئة أحسن قيام ، وباخلاص ، الى أن تم على يديه تأسيس مدينة « المسيلة » سنة 313 هـ / 925 م (1) ، بعد أن عهد له أبوالقاسم بن المهدي (322 هـ ـ 334 / 933 ـ 945 م) ، بهذه المهمة ، فقام باختيار موقع هذه المدينة بين سهول الحضنة جنوبا وجبال المعاضيد في الشمال على الطريق الرابط بين افريقية والمغرب ، وسط اراضي بنى برزال ، وبنى كهلان ، على مقربة من هوارة ، في اقليم الزاب بالمغرب الاوسط (2) ، واطلق عليها اسم« المحمدية » نسبة الى محمد ابى القاسم بن عبيد الله ، وهذا يدل على أن اسمه كان محمدا ، وليس عبد الرحمن على خلاف ماهو شائع (3) .

والظاهر أن الغرض من أنشاء هذه المدينة ، وفي هذه المنطقة بالذات هو رغبة الخليفة الفاطمي ، في مراقبة تحركات القبائل البربرية ، التي كثر خروجها على السلطة الفاطمية ، وخاصة منهم : مغراوة ، وبنى يفرن ، وحتى تكون خطا دفاعيا اوليا ، ونقطة الانطلاق ، نحو المغربين الاوسط والأقصى ، يزود منها مؤيديه وانصاره ، بالامدادات السريعة ، لمحاربة النفود المتزايد للدولة الاموية في هذه المنطقة ، فكانت كما يلاحظ ابن خلدون : « .. ميرة للعساكر عند محاصرة المنصور بن القائم ، لابى يزيد بن مخلد بجبل كيانة » (4) . وبعد أتمام بناء مدينة المسيلة عقد عبيد الله لعلى بن حمدون عليها ، واضاف له أقليم الزاب ، الذي كان يمتد من الواحات جنوبا ، الى حدود صنهاجة ، بأشير غربا ، والى جبال أوراس شرقا (5) .

نشأ وترعرع كل من جعفر ويحي ، ابنى على بن حمدون ، في بلاط القائم بن عبيد الله المهدى ، مع أولاده ليتحليا بآداب الملوك ، وينشآ نشأة أبناء كبار رجال الدولة وكان صاحب المنصور الأستاذ جوذر ، يسهر على تربيتهما ، مثلما يسهر على تربية أمراء الاسرة الفاطمية الحاكمة .

ولما قامت ثورة ابى يزيد مخلد ـ صاحب الحمار ـ واضطربت الامور في افريقية والمغرب ، كتب الخليفة القائم ، لعلى بن حمدون في المدد ، بالقبائل البربرية المنضوية

---

(1) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 268 ضبطه صادر بيروت 1950 .

(2) ابن عذاري : البيان ، ج 1 ص 190

(3) ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرته ، ص 12 نشره وترجمه M. Vonderheyden الجزائر 1927 .

(4) ابن خلدون : العبر ، ج 4 ص 175

(5) د . محمد العيلاني : بلاط بني حمدون بالمسلة ، ص 49 .

تحت سلطانه فلم يتأخر علي ، وكانت له جولات مشهورة مع أبي زيد صمد فيها على وقاوم جيش أبي يزيد بكل بسالة ، حتى كانت نهايته ، في معركة حامية بينه وبين أبي أيوب بن يزيد ، سنة 334 هـ / 945 م ، فتولى أمر مدينة «المسيلة» والزاب من بعده ابنه جعفر ، بالاشتراك مع أخيه يحيى بن علي ، وصارت لهما دولة مزدهرة شبه مستقلة شيدا فيها القصور والمتنزهات ، وقصد بلاطهما العلماء والادباء والشعراء (1) . ومن بين هؤلاء الشعراء ، الشاعر **الأيبيري ابن هانيء الأندلسي** (توفي سنة 362 هـ/ 972 م) ، الذي التحق بالمغرب لخدمة المعز لدين الله الفاطمي ، وكان ابوه هانيء ، غريب الاطوار، انتقل من المهدية الى الاندلس ، فعاش بمدينة اشبيلية ، ثم غادرها الى البيرة ـ على مقربة من غرناطة الحالية ، ولا يستبعد أن يكون ، هو الآخر داعيا من دعاة الشيعة ، تعلم أساليب الدعاية ومبادئها بالعاصمة الفاطمية « المهدية » أو بمدينة القيروان .

أما أبنه الشاعر محمد بن هانيء ، فقد طرد من الأندلس ، ربما لمجاهرته بالتشيع في هذا البلد الشديد الكراهية لمبادىء الشيعة ، وعندما عبر الى بلاد المغرب ، اتصل بجعفر بن علي صاحب « المسيلة » ومكث عنده مدة يمدحه ، ثم انتقل بعد ذلك الى المهدية ، حيث أصبح لسان الدولة الفاطمية بالمغرب ، وشاعرها المفوه بدون منازع ، وقد لقي حظوة خاصة عند الخليفة الفاطمي الرابع المعز لذين الله ، والظاهر أنه كان متشبعا بالمعتقدات الاسماعيلية ، كما تشهد على ذلك قصيدته ، في مدح القائد الفاطمي جوهر الصقلي ، وهي أول قصيدة نظمها على أرض المغرب جاء فيها :

أريك به نهج الخلافة مهيعا يبين وأعلام الخلافة وضعا (2)

وقد اعترف الشاعر محمد بن هانيء نفسه بتشيعه القديم ، الذي سبب له نقمة الامويين وغضبهم عليه ، في قصيدة طويلة مطلعها :

---

(1) د . محمّد العيلاني : المرجع السّابق ، ص 50 وقد بلغ صيت هذه الإمارة حتّى المشرق فمدح الشاعر الحلبي جعفر بقصيدة مطلعها :

جعفـــر روحـــي لك الفـــدا أبـــا أحمـــد مـــا كـــل جعفـــر جعفـــــر
ما لزاب الا عدن لأنك في الـــزاب ومـــــــاؤه ســـوى الكوثـــــر

د . أحمد مختار العبادي : سياسة الفاطميين ، ص 14 .

(2) ابن هانيء الأندلسي المغربي : تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانيء ، ص 168 وما يليها تحقيق د. زاهي على مطبعة العارف ، 1352 هـ .

وما نقموا الا قديـــم تشيـعـــى فـجـى هزيـرا شـدة المتدارك (1)

ويعتبر شعره في مدح الخليفة المعز لدين الله الفاطمي ، وثيقة هامة لمبادىء العقيدة الاسماعيلية مثل قوله :

ما شئـت الا مشاءت الاقـــدار فاحكـم فأنـت الـواحـد القهار(2)

لم يقف عبد الرحمن الناصر لدين الله مكتوف الأيدي ، حيال هذه المناورات الفاطمية ، وتوسعاتها على حساب أراضي القبائل البربرية ، في المغربين الأوسط والأقصى ، فقد استعمل نفس السلاح ، الذي استعملته الدولة الفاطمية أول الأمر ، وهو النشاط الدعائي والثقافي ، وقد تبين في الفصل السّابق ، كيف كانت الإمارة الأمويّة تعمل منذ بداية عهدها ، على محاربة أي دعوة شيعيّة ، سواء كانت هذه الدعوة في المغرب أو الأندلس ، ولا سيما بعد ظهور دولة الأدارسة العلويين ، سنة 172 788 م ، وقد حرص أسلافه على توطيد علاقاتهم ، مع بعض الدويلات المغربيّة المجاورة للعلويين ، حتى ما كان يخالفها من النّاحية المذهبية مثل : بني رستم ، وبرغواطة وسجلماسة .

وبالإضافة الى العلاقة السياسيّة . كان للأندلسيين نشاط تجاري واسع النطاق في المغرب ، فقد رأينا كيف أسّست الكثير من الجاليات الأندلسيّة ، بعض الثغور أو المحطات التجاريّة على طول السّاحل المغربي ، في أواخر القرن الثّالث الهجري ، التاسع الميلادي ، وأصبح الأندلسيون يتدفقون على هذه المراكز ، للتجارة والإستقرار .

ولا شك أن وجود مثل هذه المجموعات الأندلسية ، على أرض المغرب وافريقية ، تكون قد تركت بصمات فكريّة ومذهبيّة بين سكّانه ، فأهل المغرب والأندلس ؛ يلتقون في حبهم للسنة ومذهب مالك ، وكما أن سكان الأندلس يتعصبون للمذهب المالكي ، فكذلك أهل المغرب ، ودليل ذلك ما رواه المقدسي من أنه ذاكر يوما بعض المغاربة في مسألة فقهيّة ، وذكر قولا للشّافعي ، فقالوا له مخاطبينه : « اسكت من هو الشافعي ؟ انما كان بحرين ، أبو حنيفة لأهل المشرق ، ومالك لأهل المغرب » (3) . وقد يشترك معهم الخوارج ، في خصومة الشّيعة ، اذ هم أعداؤهم منذ خروجهم

(1) نفس المصدر ، المقدّمة ص 21

(2) نفس المصدر ، المقدّمة ص 57 ، أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 197 .

(3) المقدسي : أحسن التقاسيم ص 42 عبد العزيز المجذوب : الصراع المذهبي بإفريقية الى الدّولة الزيريّة ، تونس 1975 . ص 89 .

على علي بن أبي طالب ، وهذا ما حدث بالفعل ، فقد انضم صوت الخوارج الى صوت أهل السنّة . لدفع الخطر الفاطمي ومقاومته ، وصادفهم من جرّاء ذلك عناء كبير .

وكان لعبد الرحمان الناصر ، عيون ووسطاء منبثون في جميع أنحاء المغرب ، (1) يوافونه بما يهمه من أخبار الدولة الفاطميّة في المغرب ، وساعدهم في مهمتهم الجاسوسيّة ، وجود الجاليات الأندلسيّة المقيمة ، في كثير من المدن والثغور المغربيّة ، والظاهر أن هؤلاء الأندلسيين ، كانوا حريصين على مصلحة البلد الأم ، التي هاجروا منها ، كما كانوا شديدي التمسّك بالمذهب السني (2) .

وكان الفقهاء السنيون ، أكثر الفقهاء معارضة للفاطميين دائما ، ولا سيما الأندلسيين منهم ، اذ يروي ابن الفرضي ، أن الفقيه القرطبي يحيى بن عمر (ت 289 هـ/ 901 م) (3) ، الذي استوطن مدينة القيروان ، كان شديد التعصب لمذهب أهل السنة ، كارها للبدع حاملا عليها ، وكان يعتز كل الاعتزاز بولائه لبني أميّة (4) ، لذا كان فقهاء السنة ، من الجاليات الأندلسيّة ، أكثر الفقهاء في المغرب عرضه للإضطهاد الفاطمي ، ففي سنة 300 هـ/ 912 م ، قبض على أحد أبناء التجار الأندلسيين ، وهوأبوجعفربن خيرون .

وكان خيرون هذا من كبار أغنياء القيروان وأثريائها ، اذ هو صاحب المسجد الشّريف ، يملك الفنادق المجاورة لسجن القيروان ، قبض عليه بسعي من القاضي الشّيعي المروذي (5) .

---

(1) ابن سعيد المغربي : المغرب ، جـ1 ص 180

(2) محمود علي مكي : التشيع في الأندلس ، ص 30

(3) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، جـ2 ص 181 صححه السيد عزت العطار الحسني القاهرة 1954

(4) المالكي (ابوبكر عبد الله أبي عبد الله) رياض النفوس ، جـ1 ص 398 تحقيق حسين مؤنس القاهرة 1951 بينما كان يجلس في احدى جلساته العلمية ، مع طلابه ، واذا برسالة جاءته من أبي زكريا يحي بن زكريا بن عبد الواحد الأموي ، فوقف عن الدرس وقال : « صاحب هذا الكتاب منّ جده علي جدّي ، بالعتق فأنا مواليه » . أنظر رياض النفوس ، ص 398 وما يليها .

(5) ابن عذاري : البيان ، جـ1 ص 169

وفي سنة 309 هـ / 921 م) أمر عبيد الله المهدي ، بقتل الزّاهد محمّد الشذوني ، وسبب ذلك تفصيل هذا الأخير ، لبعض الصحابة على الإمام علي بن أبي طالب (1) ، وكان الصراع المذهبي ، في افريقية والمغرب على أشدّه ، بين أهل السنة والشّيعة ، وبلغ تذمّر المغاربة تذمرا كبيرا ، بسبب احتلال الفاطميين لبلادهم ، وخير دليل على هذا التذمّر ، ما قام به بعض القيروانيين من كتابة بيتين شعريين ، وهما يعبران ، عن مدى السخط الذي انتاب أهل السنّة في افريقية ، ضد الفواطم ومذهبهم ، فقد تلطف هؤلاء القيروانيون الى من وصّل هذين البيتين ، لعبيد الله المهدي وهي تقـول (2) :

الجـور قـد رضيـــــــا لا الكفـــر و الحمـــاقـــة
يـــا مـــدعـــى الغيـــــوب مـــن كـاتـب البطـــاقـــة

وهناك مثال آخر لهذا الصراع المذهبي ، ماأورده المالكي ، في حديثه عن احتلال عبيد الله المهدى لافريقية اذ يقول : « بأن فقيها مالكيا يدعى جبلة ، ترك رباطه بقصر الطوب (3) ، وأقام في مدينة القيروان ، فقيل له : اصلحك الله كنت بقصر الطوب تحرس المسلمين وترابط ، فتركت الرباط والحرس ، ورجعت الى هاهنا . فقال : كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحـر ، فتركناه وأقبلنا نحـرس الـذي قد حـل بساحتنا ، لأنّه أشدّ علينا من الرّوم » (4) .

وقد أصبح الفقهاء يؤلفون الدعامات القويّة ، للحرب ضد الفواطم ، فهم الذين أخذوا يذكّون حماس الجماهير ، في الشوارع والمساجد وقت الصلوات ، وهم الذين حملوا الرايات لقيادة الفرق الثائرة ، مثل ماحدث في ثورة ابي يزيد مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) ، ومن بين هؤلاء الفقهاء ، الذين أشعلوا حمية أهل السنة في افريقية ضدّ الشيعة ، الفقيه أبو الحسن الخلاّف ، الذي قال : « ان قتال الفاطميين أفضل من قتال المشركين » . وانه كان يرى في محاربة الفواطم فرضا وواجبا على كل مسلم (5) .

---

(1) نفس المصدر ، ج 1 ص 187

(2) نفس المصدر ، ج 1 ص 160ب

(3) يقع قصر الطوب جنوب مدينة سوسة بتونس وقريبا منها . ابن عذاري : البيان ج1ص 171.

(4) د . أحمد مختار العبادي : دراسات ص 60 ـ 70 أنظر أيضا : Dozy : Supplément, T. I., p. 269.

(5) الدباغ (عبد الرحمن الانصاري) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، ج 3 ص 34/35 تونس 1902 .

ومنهم : ربيع القطان ،الذى اتخذ عهداعلى نفسه ، بأن لا يشبع من طعام ولا نوم حتي يقطع الله دابر بنى عبيد ، وقال : «كيف لااخرج (أيلمحاربة الفواطم) وقد سمعت الكفر بأذني» (1) .

ويتضح مما تقدّم مدى السخط الذي عم الفقهاء ، وسكان افريقية ، وما وصل اليه الإنقسام المذهبي ، الذي أحدثه الإحتلال الفاطمي للشمال الإفريقي ، وبطبيعة الحال ، فإن مثل هذه الأحداث ، تدعم موقف الخليفة السني ، عبد الرّحمن الناصر لدين الله عاهل الأندلس في الغرب الإسلامي ، ومهّدت له الطريق للتدخّل في بلاد المغرب تدخلا مباشرا . ولهذا لم يتوان هذا الخليفة الأندلسي ، بأن يقوم أول الأمر بإجراءات وقائيّة سريعة ، لمواجهة الفاطميين ، والحد من انتشار نفوذهم .

اعلان نفسه خليفة للمسلمين :

فعندما استتب له الأمر في الأندلس ، وانتهى من اخماد الفتن ، ودانت له جميع أعمال الجزيرة الأندلسيّة بالطاعة ، أقدم على عمل خطير ، لم يتجرّأ على الإقدام عليه أسلافه ، وهو تلقيب نفسه بالخليفة أمير المؤمنين ، النّاصر لدين الله وأرسل بذلك الى كافة أقاليم الدولة ، يأمرهم بالدعاء له ، على المنابر باسم أمير المؤمنين النّاصر لدين اللّه (2) . وعهد الى صاحب الصلاة الفقيه القاضي أحمد بن مخلد

---

(1) الدباغ (المصدرالسابق) ج 3 ص 37

(2) نص الكتاب الذي تلقب فيه عبد الرّحمن بن محمّد بالقاب الخلافة : «لبسم الله الرّحمن الرّحيم . صلى الله على نبيه محمد الكريم أما بعد فان أحق من استوفي حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله تعالى ما البسه ، فنحن للذي فضلنا الله به . وأظهر اثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا اليه ، ويسر على أيدينا دركه ، وسهل بدولتنا مرامه ، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا ، وأعلى في البلاد من أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم الينا ، واستبشارهم بما أظلهم من دولتنا ـ انشاء الله ـ فالحمد لله ولي النعم الأنعام ، بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنّا ، ووورودها علينا كذلك ، اذ كل مدعو بهذا الإسم غيرنا ، منتحل له ، ودخيل فيه ، ومتسم بما لا يستحقه منه ، وعلمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا ، من ذلك حق لنا ، أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه ، فر الخطيب بموضعك ، أن يقول به ، وأجر مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله» . أنظر : كتاب ابن حيان المقتبس ورقة 99 ـ الحلل الموشية ص 19 ـ ابن عذاري : البيان ج 2 ص 198 ـ L. Provençal Y. Garcia (G) : Una Crnica anon ima de Abd al Rahman III Al Nasir, p. 79.

د . عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين في الأندلس ص 319 .

بن يزيد ، بالدعاء له في خطبة الجمعة . في المسجد الجامع بقرطبة مستهل ذي الحجة سنة 316 هـ / 928 م . وقد استمر هذا اللقب في عهده وعهد خلفه من بعده ، حتّى انقرضت دولتهم ، سنة 422 هـ ـ 1031 م (1) .

وكان الدافع الأساسي ، لهذه الخلافة السنيّة الجديدة في الأندلس ، هو تغير الأوضاع السّياسيّة في المشرق ، والغرب الإسلامي ، فقد ضعفت الخلافة العبّاسيّة في بغداد ، واستحوذ على السّلطة في مدينة السّلام ، «الأتراك» دون الخلفاء ، وقد اتخذ هؤلاء الأتراك ، لأنفسهم الألقاب السلطانيّة .

أما في إفريقية والمغرب ، فقد ظهرت الخلافة الفاطميّة معادية لبني أميّة في الأندلس (2) ، وعلى الصعيد الداخلي ، فقد كان عبد الرّحمن الناصر يرغب في رفع منزلته السّياسيّة والدّينيّة ، أمام رعيته ، بعد أن أطاح بالمعارضة ، وتذهب بعض المصادر الى أنّه استجاب لرغبة الرّعيّة في الاندلس ، والتي نادته بهذا اللقب قبل أن يطلقه على نفسه (3) .

فهذه العوامل كلها اجتمعت لتشجّعه ، على الخروج عن الأصل النظري السني للخلافة ، والقائل بأن الخلافة لا تتجزأ ، لكن عبد الرّحمن ، وضعها موضع الاجتهاد ، وأجاز الفقهاء السنيون بتعدّدها ، ما دام هناك مصلحة عامّة للمسلمين ، واعترفوا بشرعيّة وجود ، أمامين يتوليان حكم المسلمين ، في وقت واحد على شرط ، أن تكون بينهما مسافة كبيرة ، حتى لا يحدث التصادم بينهما .

أما عن نظام الخلافة في الأندلس ، فإنّه يقوم على أساس التوريث ، ويستند الى السياسة أولا ، ثم الدين ثانيا ، وهو نظام يختلف عن النظام ، الذي اتبعه الخلفاء الرّاشدون ، اذ كانت خلافة هؤلاء تقوم على الشورى والإنتخاب (4) .

---

(1) ابن حيان : المقتبس رقم 99 ـ ابن عذاري : البيان ، ج2 ص 198

(2) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 55 ـ ابن الأبار : الحلة السيراء ، ج 1 ص 198 ـ ابن الخطيب : المصدر السابق ، القسم الثاني ، ص 33 .

(3) مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 19/18 ـ طبعة تونس سنة 1329 .

(4) د . أحمد مختار العبادي : دراسات ص 62 راجع مقال لنفس المؤلف نظام الخلافة في المغرب الإسلامي في العصور الوسطى فصله من كتاب فلاسفة الإسلام في المغرب العربي ص 152 وما بعدها .

واذا ما قورن بين نظام الخلافة الأمويّة في الأندلس ، وبين خلافة الفواطم في المغرب ، والعباسيين في المشرق ، فإنّه يتبيّن لنا ، أن الأمويين أكثر ديموقراطيّة — ان صح التعبير — من الخلافة العبّاسيّة والفاطمية ، فالأولى كانت تقوم على نظريّة التفويض الإلهي ، ويستطيع الدارس أن يجد هذا في قول أبي جعفر المنصور : «إنما أنا سلطان الله في أرضه» . وهذه النظريّة مستمدّة أصولها من النظريّة الكسروية الفارسيّة في الحكم ، وقد ساد هذا النظام أيضا ، عند ملوك أوروبا في العصور الحديثة (1) .

وكذلك الخليفة الفاطمي ، كان يعتبر نفسه اماما معصوما من الاخطاء ، ولا يسأل عما يقوم بفعله ، لأنه المعلم الأكبر ، الذي ورث العلوم الدينية ، بما فيها أسرار الكون وخفايا الغيب التي انتقلت اليه من النبى ، عن طريق علي بن ابي طالب وابنائه من بعده (2) .

أما الخليفة الأموي فهو انسان عادى قد يخطىء او يصب ، والناس أحرار في نقده ، وأن استطاعوا عزله عزلوه ، ومن امثلة ذلك ، ماجرى بين الخليفة عبد الرحمن الناصر ، وقاضي قرطبة المنذر بن سعيد البلوطى من جفاء ، حينما قام عبد الرحمن ، ببناء مدينة الزهراء ، واسرف في الانفاق عليها الاموال الباهظة وبالغ في تزيينها ، فأخذ القاضي ، يعرض به في خطبة الجمعة في المسجد الجامع وانكر عليه ما بذّره من اموال المسلمين ، في سبيل ذلك ، والخليفة حاضر ، وقد اثار هذا غضبه ، الا انه لم يعاقب القاضي أوخلعه من منصبه ، وإنما الذي فعله هو قوله لابنه الحكم : « لقد تعمدنى منذر بخطبته ، وما عنى بها غيري . وأقسم بأن لا يصلي خلفه أبدا » (3) .

اصطناع الناصر لأمراء المغرب ورؤساء القبائل .

أهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ببلاد المغرب ، وبخاصة بعد أن امتدت يد الفواطم الى المغرب الاقصى ، الذي لا يفصله عن بلاده الا مضيق جبل طارق ، فاتخذ سياسة اصطناع رؤساء القبائل المغربية ، وقد وجد ضالته المنشودة في حلفاء بني

---

(1) د . أحمد مختار العبادى : المراجع السابق ، ص 62

(2) د . أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والأندلس ، ص 182 / 183 .

(3) المقري : نفح الطيب ، جـ 2 ص 102 .

أمية القدماء ، وهم الزناتيون ولا سيما مغراوة ، التي اقبلت على الدعوة الاموية السنية اقبالا كبيرا ، وأيدت عبد الرحمن الناصر تأييدا مطلقا ، ولم تتردد في تلبية ندائه عن طيب خاطر . كما حاول أن يكسب بعض امراء الدويلات القائمة في الشمال الافريقي أنذاك مثل : الادارسة ، بفروعهم الثلاثة : بنو محمد ، وبنو عمر ، الذين اتخذوا من قلعة النسر والبصرة وأصيلا مقرا لهم ، وبنو سليمان ، الذين استقروا بتلمسان وسواحلها وأمراء بنى صالح اصحاب نكور ، فارسل اليهم الكتب يدعوهم فيها الى محالفته ، وموالاته مبينا لهم اخطاربنى عبيد ، الذين يريدون اطفاء نور السنة بمبادئهم الاسماعيلية ، ويتظاهر بأنه حامى السنة والدين (1) . وأخذ يحرضهم على الفواطم ، ويبذل لهم الاموال وما يحتاجونه من مؤن وعتاد .

ولم يقتصر عبد الرحمن الناصر ، على محالفة هذه الدول ، بل تعداها الى ماوراءها حيث توجد قبائل البربر ، ولا سيما منهاقبيلة زناتة ، التي بادر زعيمها محمد بن خزرالى اجابته ومبايعته ، وفي ذلك يقول صاحب كتاب مفاخر البربر : « .. وتخطاهم عبد الرحمن الى من سكن خلفهم ، من زعماء قبائل البربر ، يستألفهم ويحمل أهل الطاعة ، على أهل المعصية منهم ، ممدا لمن عجز برجاله ، مقويا لمن ضعف بماله متفقدا بهم في سائر الحالات بالطافه ، متعهدا بوجوه رسله ، وخواصه الى أن تميز أكثر بوادى زناتة في حزبه وارتسموا في طاعته » (2) .

وكان عبد الرحمن الناصر ، قد وجه اليهم سفيره وخاصته ، القاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى سنة 316هـ / 928 م (3) ، محملا بالهدايا والألطاف والاموال ، الى رؤساء القبائل البربرية ، وكان محمد بن عبد الله هذا من أصل مغربي (4) ، كما كان دبلوماسيا حكيما ، عرف كيف يستهوى قلوبهم ، ويستميل نفومهم ، ويحكم المواصلة بينهم ، وبين خليفة الأندلس ، ويقول في ذلك ابن حيان : « ... فلم يلبث

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 103

(2) مؤلف مجهول : كتاب مفاخر البربر ، ص 4

(3) ابن خلدون : كتاب العبر ، ج 7 ص 53

L. Provençal : Op. cit., T. 2., p. 96, note (1).

(4) القاضي محمّد بن عبيد الله بن أبي عيسى من أصل بربري كما يدلّ عليه اسمه : محمد بن عبد الله بن أبي عيسى كثير بن وسلاس المصمودي أنظر : L. Provençal : Op. cit, T. I. T. 2., p. 96.

أن هويت اليه افئدة كثير منهم ، ومن زعمائهم ، بين مصحح في ولايته ، مستجيب لدعوته ، مغتنم لعطيته ، مستعين بعونه .. » (1) .

وكان من نتائج جولة السفير القرطبي ، في ارض المغرب ، أن اخذت الرسائل والوفود ترد على العاهل الاندلسي ، من رؤساء القبائل المغربية وأمرائه يعبرون فيها عن ولائهم ، ويبعثون له بأخبارهم ، وأخبار الشيعة الفاطميين ، فقد وردت على عبد الرحمن الناصر لدين الله بقرطبة ، رسالة من محمد بن خزر زعيم زناتة وكبير المنحاشين اليه سنة 317 هـ/ 929 م ، ينوه فيها بأعمال ابنه الخير ، وأخويه مسعودوعبد الله أبنى الخزر ، ويخبره فيها بما احرزوه من انتصارات باهرة ، على اعدائه أعوان الفواطم ، فقد تم لعبد الله بن خزر ، الاستيلاء على مدينة « المسيلة » ، بعد أن فر منها صاحبها ، على بن حمدون ، ولجأ الى الجبال المجاورة لها ، واستطاع عبد الله أن يخضع لطاعته ، قبائل تلك الناحية وعلى رأسها بنى برزال ، التي بعثت بولائها وبيعتها للناصر لدين الله ، واخذ عبد الله رهائنها وارسلهم الى أخيه محمد بن خزر ، كما استطاع جيش زناتة ، أن يتحكم في الطريق الواصل بين افريقية والمغرب ، وأن يقطع الامدادات والمؤن ، التي كانت تأتي مدينة « تاهرت » من عبيد الله المهدى ، وخلص له بذلك معظم اقليم الزاب ، ويشير ابن حيان في هذا الصدد بقوله « وانضم اليه من القبائل بالطاعة ، فأخذ دعاتهم واقام جيشه مغاورا لاهل مدينة « تاهرت » ، قاعدة الشيعة وثغرهم ، قاطعا للسميرة (عليها) حاجزا بين افريقية وبينهم .. » (2) .

كما وصلت الى قرطبة رسالة أخرى ، من الخير بن محمد بن خزر يطلعه فيها على أحوال أعماله في منطقة وهران ، وكان قد نهض اليهم أبو القاسم بن عبيد الله الشيعي ، الذي استطاع أن يهدم لهم بعض الحصون ، والقلاع بالساحل الوهراني ، وبنى بأحجارها وخشبها ، حصنا منيعا بالقرب من مقرهم ، حتي يأخذ بمخنقهم ، وشحنه بالعدة ، والاقوات والرجال ، وأخذ يغير منه على أملاك زناتة ، لكن الخير لم يتردد في التقدم نحوه ، وأقتحم حصنه ، وقتل معظم من فيه ، وسبى ذراريهم ونساءهم ،

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة رقم 105 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 105 ـ ابن عذاري ، البيان ، جـ 1 ص 194 .

وعاد الى مقره بوهران ، ولم يعد بعد ذلك للعبيديين مكان في الساحل ، ولا منبسط بارض المغرب ماعدا مدينة « تاهرت » (1) .

واتبعها الخير برسالة أخرى ، في نفس السنة أي في سنة 317 هـ / 929 م يخبر الناصر بماجد لديه ، من فتوحات لبعض أراضى القبائل الموالية للعبيديين فقد استولى على مدينتي شلف (2) وسبو ، وتم له ذلك في يسر ودونما عناء ، وقد اسرع سكان هاتين المدينتين بتقديم الطاعة والولاء ، لعبد الرحمن الناصر ، وأقاموا له الدعاء على منابرهم وعاد الى مقره بعد أن أخذ رهائنهم ، وبعث بهم الى أبيه محمد بن خزر (3) .

ثم ورد كتاب آخر الى قرطبة من الزعيم الجزائرى محمد بن خزر مجددا ، للناصر البيعة في آخر سنة 317 هـ ـ 929 م ، وتضمنت هذه الرسالة اعترافه بحق الناصر لدين الله ، واحقيته بالخلافة دون غيره وعلى الرغم من الاغراءات التي كانت تبذل له من قبل الفواطم وبنى العباس ، فقد أتاه كتاب من صاحب مصر « تكين » التركى يغريه بالانضمام الى صفهم ، ولا سيما وأن اخاه المقيم بمصر استدعاه عدة مرات الى التشبث بحبال المسودة من بني العباس ، لكن محمد ابن خزر أبى ذلك بشمم ، وحول وجهه شطر الاندلس ، ولأهمية هذه الرسالة نقتطف منها مايلى على سبيل المثال لا الحصر : والله ياأمير المؤمنين ، ما أعلم على وجه الارض أحدا ، اعرف بما أوجب الله لك مني ، لاني ماقمت بدعوتك الا تقربا الى الله ، تعالى وتوصلا الى قتال كفار المشارقة.. وقد حاولوا أن يبطلوا نور الإسلام كان به أهله ، فاستخرت الله في جهادهم ، وقمت أدعو الى ربي في جوف الليل في التوفيق ، والتسديد ... وفكرت في أمام اعتاق (حله) واكون على بينة من أمرى ، في الدعاء اليه ، وقد تشبث (يقصد أخاه) في حبال المسودة من بنى العباس واستدعاني أخى المقيم عندهم بمصر ، وأتتني كتب « تكين » التركى صاحبهم بمصر في أول الامر ... واستجلابى نحويه ، فعصمنى الله من ذلك باتباع الحق ... حتى علمت بأمر أمير المؤمنين ، انك احق الناس بالخلافة ، انها بيدك ميراث لاينازعك فيها الا من دفع الحق وعصى الله ورسوله ... وأن يصرف الله معشر زناتة بهذه

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 105

(2) مدينة مطلة على فحص وادي شلف بها سوق عامرة تعرف بشلف بنيّ واطيل لزواغة ـ راجع البكري : المغرب ص 69 .

(3) ابن حيان : المصدر السّابق ورقة 105 ، ابن خلدون : كتاب العبر ج 7 ص 53 .

الدعوة ، الحق المنصورة ترفعنا على جميع الناس ، فيكون أولياء وأنصار دولتك فانك يا أمير المؤمنين مولى كل بربرى على الارض . اذ بنى أمية هداهم الله للاسلام وعساكرهم منى .. والاجماع من الناس على انك اولى بالخلافة من كل منتحل اسمها معك كذلك يتمسك كل من تقدم الينا المشرق من نواحي افريقية فكلهم يشكر فعلى بأن الحق معي .. حتى ان صاحب مصر قد رضيه وسره وما ساءه .. » (1) وارفق محمد بن خزر مع هذا الكتاب الطويل ، هدية قيمة كان لها وقع حسن في نفس الخليفة الناصر لدين الله وكانت هذه الهدية عبارة عن عشرة نجب مخصية عجيبة الخلق ، مجهزة بسروجها معلق عليها عشر دراقات من نفائس الدرق ، وعشرين ناقة حامل ، راعيها عبد اسود ماهر يرعى الابل بصيرا بأدواتها ، وثمانية عشر فرسا ، من جياد الخيل العربية ، وقرنها باسدين ضاريين مع سباع اخرى واربع نعامات ، ففرح بها الخليفة فرحا عظيما ، وكافأه عنها مكافأة جزيلة ، وأرسل له هدية مماثلة من الملابس الثمينة والحلى ، والطرائف العجيبة . واختصه الناصر لدين الله ، بمنزلة خاصة فأهدى له ملابس مطرزة عليها اسمه، وأن دل هذا ، فانما يدل على ارتفاع مكانة هذا الزعيم الجزائرى المغراوى الزناتي عند الخليفة ، وكانت هذه الملابس ، لاتهدى الا للامراء والملوك ، ولم يسبق للناصر لدين الله ، أن اهدى مثلها لغيره من أوليائه ، وقد أرفق مع هذه الهدية كتاب يشكره فيه عما جاء في رسالته الآنفة الذكر (2) .

ولم يقف الخليفة الاموى عند الدعم ، السياسي والمادى لاصدقائه في المغرب ، بل عمد الى جلب فرسان زناتة الى الأندلس ، ليستعين بهم في حروبه ضد المناوئين والخارجين عليه ، وقد تمكن من مقارعة خصومه ، في الداخل بفضل سواعد هؤلاء الفرسان فمتنت بذلك ـ كما لاحظ ابن حيان « أسباب ملكه ، وجل مقداره وبعد صيته » (3) .

وفي سنة 320 هـ / 932 م ، كتب محمد بن خزر الى الناصر لدين الله ، يطلب منه الموافقة على تغيير مكان مقره ، من الداخل الى الساحل ، وقد اختار مكانا استراتيجيا هاما يسمى «سلفا» ـ موضع يقع غرب مدينة «تاهرت» وعزم ان يأخذ معه أهله وأصحابه

---

(1) ابن حيان : المصدر السّابق ، ورقة 106 ـ 107

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 108

(3) نفس المصدر ، ورقة 105

وحشمه وعبيده ومواليه وأهل ولايته ، وصنوف الرعية من الخاصة والعامة ، ويؤكد له الطاعة من جديد ، وبين له الهدف من هذا الانتقال حسب ماذكره الزعيم الزناتي للناصر ، هو رغبة في الدنو من الاندلس ليسهل له الاتصال بأمير المؤمنين ، والعبور اليه متى شاء ، وتلقى الامدادات في عجل ، عند الحاجة اليها ، اذ انه سبق وهو في الدواخل فلم يتمكن من استقبال هذه الامدادات ، لان صاحب « تاهرت » تعرض لها واستولى عليها (1) .

وتضمنت رسالة بن خزر ، للناصر لدين الله ، خطة لحصار مدينة « تاهرت » ونظرا لصعوبة تنفيذ هذه الخطة لقلة امكانياته ، فقد طلب من الناصر أن يمده بخبراء مهرة في فن حصار المدن ، من ذوى الخبرة والتجربة في هذا الميدان ، وتزويده بمتخصصين من اصحاب الاسلحة والنشاب وأهل الاقتدار ، على التشييد والبناء ، لذا فانه يلتمس من الخليفة ، أن لا يبخل عليه بما يحتاج اليه ، من عتاد ورجال وقواد ورماة ، حتى يستعين بهم ، مع مالديه من عدة وعدد ، في استئصال شوكة الشيعة من هذه المدينة ، وبالتالي ينفتح الطريق أمامه نحو افريقية قلب الدولة الفاطمية (2).

وحملت نفس الرسالة الى الناصر لدين الله ، خبر لجوء فلفل بن خزر الى عبيد الله المهدى ، ونقض طاعته ، وسبب ذلك حسده لأخيه محمد ، وقد تظاهر أول الامر ، انه يريد الخروج الى المراعى الخصبة يرعى ماشيته ، فابعد بذلـــك النجعة ، ولم يرابط في السباسب ، بل قصد حواضر الشيعي ، فنزل عنده هو وأبناؤه ، وقليلا من أصحابه الذين تبعوه فتلقاهم عبيد الله بكل ترحيب ، واغدق عليهم العطايا والاموال ، وارتهن عنده ابناءه حتى يؤكد طاعته ، ويحكم صلته وخرج بهم الشيعي الى بعض المغراويين ، المنتجعين لاطراف الزاب ، فهرب منهم الكثير بأموالهم وأولادهم ، ولكن محمد ابن خزر ، تصدى لاصحاب الشيعى ، ونهض اليهم يطوى المراحل ، وأعادهم على اعقابهم خائبين (3) .

وكان عبيد الله الشيعى ، قد أرسل الى محمد بن خزر كتابا ، يدعوه فيه الى موالاته مغتنما فرصة وجود أخيه فلفل عنده يرغبه في طاعته ، مستعملا في ذلك كل وسائل الاغراء

---

(1) ابن حيان : المصدر السّابق ورقة . 120

(2) المصدر السابق ورقة 121 .

(3) ابن حيان المصدر السابق ، ورقه 121

والترغيب ، وهو لا يريد منه ذهبا ولا فضة ، وإنما يريد منه افتتاح الخطبة باسمه على منابرهم ، وضرب السكة باسمه ، ويذكره بارسال احد ابنائه أو بعض أخوته ، ليشيع في وسط الناس أن محمدا بن خزر ، قد دخل في طاعته وصار من رجاله ، لكن زعيم زناته لم يحفل ، ولم يكترث بكتابه ، بل اجابه بانه على عهده للناصر الدين الله (1) .

أما الأدارسة العلويون ، فقد تأخروا عن غيرهم ، من أمراء المغرب في تحقيق الطاعة لبنى أمية في الأندلس ، وربما يرجع السبب في ذلك ، الى الاحقاد القديمة ، بين البيت الهاشمي ، والبيت الاموى ، رغم كونهم يقطنون منطقة تعتبر من اقـــرب مناطق المغرب الى الساحل الأندلسي ، اذ كانوا يسكنون بعض القلاع في جبال الريف شمال المغرب الاقصى . وكانت تخضع لنفوذهم ، بعض الثغور البحرية مثل : طنجة وسبتة . وكان هؤلاء الادارسة من بنى محمد ، وبنى عمريؤدون الطاعة لعبيد الله الفاطمي ، منذ حملاته الأولى للمغرب الاقصى ، ويذكر ابن حيان ان سبب ذلك هو : نصرة العصبية واغماضا على الدنية وابعاداً للأوية وانحرافا لموادة بني أمية للأحقاد القديمة » (2).

ولكن ابن عمهم ادريس بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان ، صاحب مدينة « ارشقول » في ذلك الوقت ناقض سلوك بقية العلويين ، مع بنى أمية في الاندلس، وابتدأ بمكاتبة الناصر لدين الله سنة 928/316 م (3) ، يخطب وده ، ويتوخى رضاه ، منحرفا بذلك عن طاعة عبيد الله المهدى ، وأوفد ادريس الى قرطبة وفدا يحمل معه هدية جميلة ، للخليفة الناصر فيها كثير من الابل ، والخيل ، وبعض الحيوانات الافريقية ففرح بها الناصر ، وتقبلها واكرم الوفد ، ثم ضاعف مكافأته (4) .

ولما سمع بنوعم ادريس بن ابراهيم بولائه لبنى أمية في الأندلس ، تعرض منهم الى هجوم عنيف ، فقد ثاروا عليه ، وقاطعوه ، ونبذوه ، واخفروه من ذمته فكتب ادريس ابن ابراهيم سنة 317 هـ / 929 م ، الى الحاجب موسى بن محمد بن حدير ، يشتكي مما اصابه من ابناء عمومته بقوله : « ... فلما ان نجاني الله من صلابته ، وعصمني

---

(1) ابن حيان ، ورقة 122 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقه 106

(3) نفس المصدر ، ورقه 106 ابن خلدون : كزاب العبر ، جـ 7 ص 53 .

(4) ابن حيان : المصدر السّابق ، ورقة 106

بولاية أمير المؤمنين سيدي ، وحبائي لمحبته ، سمع بذلك بنو عمي ، وبلغهم ما صنعته ، في ذاته أيده الله ... وتمالأوا علي ، ورموني عن قوس واحد ، وقالوا ليس هذا الرجل منا اذ فارق دعوته الى ضرها ، وخرج على علي بن ابي طالب ، الى غوائها عادى أهل بيته واستحاش عليها بصاحب جزيرة الاندلس ، شأنينا وذلك شيء لم يرض قط أحد من أهل بيته ، ولا فعله جده ولا أبوه فصاروا لي حزنا وأذوني ... وكان الباعث لهم على ذلك ، والمتوكل بتأليبهم على ، محمد بن ادريس وابن أخيه الحسن بن عيسى ، المعروف بابن أبي العيش الادريسيان .. حمية جاهلية وعصبية مردية ... » (1) .

ويتضح من هذا النص ، أن الاحقاد الهاشمية العلوية للأمويين ، لازالت متأصلة في نفوس الادارسة ثم حذا حذوه ادريس بن ابراهيم ابن عمه القاسم بن ابراهيم بن محمد ، أمير مدينة « تنس » في الانحياش الى الناصر لدين الله والاعتصام بولايته ، فخاطبه ولاطفه وكان ذلك سنة 317هـ ثم توالت طاعة العلويين له الواحد تلو الآخر (2) .

الا أنه فيما يبدو أن ولاءهم هذا لم يكن عن اخلاص وصدق للامويين ، لأننا نجدهم تارة ينضوون تحت نفوذ خليفة قرطبة ، وتارة أخرى تحت لواء خليفة المهدية بافريقية ، والظاهر انهم كانوا مضطرين تحت عامل الترغيب والترهيب ، من قبل عبد الرحمن الناصر ، وبعض القبائل البربرية ، التي كانت تشن عليهم الحروب وعلى رأسهم زعيم مكناسة ، موسى بن أبي العافية فقد اذاقهم هذا الزعيم المكناسي المرتين ، اذ ظل يطاردهم ويتعقبهم في كل مكان ، فأخرجهم من مدينة فاس ، واجلاهم عن أصيلا ، وطنجة والبصرة ، حتى انحصروا في قلعة حجر النسر منهزمين ، ثم امتدت يده الى بني محمد بن سليمان بن عبد الله ، في جراوة وتلمسان وجزيرة ارشقول (3) ، ومدينة نكور حيث استولى عليها ، وقتل اميرها المؤيد بن عبد البديع وسبى أهلها ، وكان ذلك سنة 319هـ / 931م .

وهكذا أمتد نفوذ موسى بن أبي العافية من تلمسان وسواحلها في المغرب الاوسط الى أقصى الشمال الغربي للمغرب الأقصى ، وجنوبا حتى السوس الاقصى (4) .

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 107

(2) نفس المصدر والورقة

(3) ابن عذاري : البيان ج 1 ص 194

(4) ابن عذاري : المصدر السّابق ج 1 ص 194 ـ ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 55 ـ السلاوي : الاستقصا ج 1 ص 81 .

وفيما يبدوان هذه التوسعات ،التي كان يقوم بها موسى بن أبي العافية ، على حساب الادارسة كانت تلقى تأييدا من عبد الرحمن الناصر ، وبتشجيع منه (1) ويذكر ابن حيان ، أن موسى بن أبي العافية ، خاطب الناصر لديـــن الله وهـــاداه سنة 317 هـ/ 929 م ، فسجل له هذا الأخير ، على أعماله وثبته عليها (2) . بل كان يقدم له الامدادات اللازمة لذلك ، فابن عذارى يروي ، أن « مركبا نزل من الأندلس بمرسى جراوة لموسى بن أبي العافية ، فهبط اليه الحسن بن أبي العيش ، وأخذ ماكان فيه ، فكاتبه موسى ، وكاتب قاضيه ، ووجوه أهل موضعه ، وكلموه في ذلك ، فلم يصرف اليه متاعه ، فزحف اليه موسى بجيشه ، والتقى بابن أبي العيش ، فلمارأى كثرة جنده ، أرسل اليه يطلب المصالحة ، فصالحه موسى وانصرف بعد أن صرف له ما أخذ من المركب (3) .

ولما دان لموسى بن أبي العافية معظم اجزاء المغرب الأقصى ، (4) كاتب الناصر لدين الله مرة أخرى ، يعلمه بذلك مجددا له البيعة ، ففرح الناصر لدين الله ، بهذا النبأ ، وبعث له بالخلع والاموال ، ليستعين بها في حربه ضد العلويين الادارسة ، ومازال الناصر معه ـ يأتيه من بين يديه ومن خلفه ـ حتى رسخت طاعته وأجابه الى مراده ، كما استمالت اليه ، واستهوته قلوب القبائل المغربية الأخرى ، وقطعوا دعوة الشيعة على منابر اعمالهم (5)

احتلال ثغر سبتة Cebta **سنة 319 هـ/ 931 م .**

لم يكتف عبد الرحمن الناصر ، عند حد التحريض والنشاط الدعائي ، والتدعيم

---

(1) ابن عذاري : المصدر السابق جـ 1 ص 199

(2) أبن حيان : المقتبس ورقه 105 ـ يذكر هذا المؤرخ أن مواصلة موسى بن ابن العافية للناصر لدين الله كانت سنة 317هـ / 929م ، وهذا يختلف عما أورده البكرى (ص 104) وابن عذاري (جـ1 ص 200) اللذان يؤرخان لهذا الحدث سنة 931/319م ولعل ماذكره أبن حيان هو الأصح اذ ربما يكون موسى ابن أبي العافية ، قد أدى الطاعة للناصر لدين الله سنة 317 هـ ثم أعاد تجديد الطاعة والولاء له مرة أخرى سنة 319 هـ / 931 م بعد غزوه لمدينة سبتة .

(3) ابن عذارى : البيان ، جـ1 ص 201

(4) السلاوى : الاستقصا ، جـ 1 ص 81 ، ابن زرع : روض القرطاس ، ص 055 .

(5) ابن عذارى : المصدر السابق ، جـ1 ص 199 ، ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص 55 ، السلاوى : المصدر السابق ، جـ 1 ص 82 .

السياسي والاقتصادي والعسكري ، للقبائل المغربية ضد العبيديين فحسب ، بل تعدى ذلك الى احتلال بعض الثغور ، الواقعة على الساحل المغربي ، المواجهة للشاطيء الأندلسي الجنوبي ، فبعد الاستيلاء على مدينة مليلة بخمس سنوات فقط ، وجه عبد الرحمن الناصر أسطولا بحريا ، بقيادة أمية بن اسحاق القرشي عامله على الجزيرة الخضراء فدخلها بدون مقاومة ، وتسلم المدينة من صاحبها الرضى بن عصام ، في صدر ربيع الاول سنة 319هـ / 931م (1) .

ومدينة سبتة هذه مغربية بموقعها ، اندلسية بتقاليدها ومواهبها ، وكثيرا ماكان تاريخها الإسلامي يصلها بالشاطيء الأندلسي القريب أكثر مما يصلها بأرض المغرب التي ترتكز عليها .

أما عن موقعها الجغرافي ، فانها تقع على شبه جزيرة تحيط بها المياه من معظم جهاتها عدا جهة واحدة ، ومبانيها تطل على سفح الجبل المرتفع والمسمى حاليا بجبل « آخو » فهي اذن بهذا الموقع الاستراتيجي الهام ، تشرف اشرافا تاما على مضيق جبل طارق ، وعلى الشاطيء الاندلسي الجنوبي القريب وتتحكم فيهما ، وهذا الوضع يكاد يعزلها عما وراءها ، من سكان بلاد المغرب ويمنعها من الاتصال بهم ، الا عن طريق البحر أوعن طريق بري شديد الوعورة من الغرب (2) .

ويذكر ابن حيان أن احتلال مدينة « سبتة » ، جاء نتيجة لرغبة أهلها في طاعة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، بعد أن تألق نجمه واعتلا سلطانه ، حسب تعبير ابن حيان (3) .

أرسلت له حاميتها وفدا من كبار شيوخها ، ليقوم بتقديم الولاء له ويسأله الدخول في طاعته ، وانفاذ عامل من قبله ، يتولى شؤون المدينة ويزودهم بفرقة من الرماة ترابط عندهم ، لتحميهم من الخطر الخارجي ، الذي يهددهم ولا سيما من ناحية الادارسة العلويين (4) .

---

(1) ابن حيان المقتبس ، ورقه 115 ، البكري : المغرب ، ص 104 راجع أيضا :
L. Provençal : Op. cit, T. 2., p. 96.
راجع لنفس المؤلف :

(2) ليفي بروفنسال : ادب الأندلس وتاريخها ، ص 107
La politica africanade Abd Al Rahman III Al Alus, Vol. XI, fasc. 2, 1946.

(3) ابن حيان المصدر السابق ، ورقه 119

(4) نفس المصدر ، ورقه 115

وكان يسكن مدينة «سبتة» قوم من العرب والبربر وجالية كبيرة من الاندلسيين من اهالى «قلسانة» Calsena ، هاجروا اليها واستوطنوها ايام الجدب الذي اجتاح الاندلس ما بين سنتي 131هـ ـ 136هـ / 748 ـ 753م (1) .

وينتسب عرب هذه المدينة الى قبيلة «صدف» (2) اما بربرها فينحدرون من غمارة ، وكانت الرئاسة لهؤلاء البربر ، حيث كان يتولى حكمها ويدير شؤونها بنو عصام ، ويؤدون الطاعة لبني محمد الادارسة ، الى ان افتتحها الناصر لدين الله (3) .

وكان المذهب السائد لديهم ، هو المذهب المالكي ، ودليل ذلك ما ذكره ابن عذارى ، من ان اصحابها كانوا يحكمون برأي فقهاء الأندلس (4) .

وكانت أول خطبة أقيمت في جامع المدينة ، باسم الخليفة الناصر لدين الله ، يوم الجمعة ثلاثة من شهر ربيع الأول ، سنة 319 هـ / 931 م (5) واستقر فيها بعد ذلك سلطان الأمويين ، وصارت من أملاكهم واستعمل عليها الناصر لدين الله ، فرج بن عفير (6) ، وفي ذلك يقول ابن حيان : « فتوطدت فيها دولته واستعمل عليها

---

(1) البكرى : المغرب ، ص 104 ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 1 ص 203

(2) «الصدف» قبيلة من كهلان اليمنية انتشر معظمها في مصر وفي بلاد المغرب حيث توجد ، قرية باسمهم بالقرب من مدينة القيروان ، وهي من بين القبائل العديدة التي انتسب اليها القائد المغربي ، طارق بن زياد ويبدو ان فريقا منها ، انتقل الى مدينة سبتة واستقر فيها ، راجع : د أحمد مختار العبادى : في تاريخ المغرب والاندلس : ص 57 حاشية رقم (4) .

(3) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 115 ، البكرى : المصدر السابق ص 104 ابن عذارى : المصدر السابق ج 1 ص 103 L. Provençal : Op. cit., T. 2., p. 96.

وحول سنوات المحل راجع ابن عذارى : المصدر السابق ، ج 2 ص 37 / 038

(4) ابن عذارى : المصدر السابق ج 1 ص 203

(5) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 115 ـ ابن عذارى : المصد السابق ج 1 ص 201 ، ج 2 ص 204 .

(6) يبدو ان الذي فتح مدينة سبتة ، هو القائد ، أمية بن أسحاق القرشي ، صاحب الجزيرة الخضراء . كما هو مبين في المتن ، وكما ذكره ابن حيان (ورقة 119) وليس القائد فرج بن عفير ، كما جاء في كتاب البكرى (ص 104) وغيره ، والظاهر أن «فرجا» هذا ، تولى الولاية من قبل الناصر ، بعد ان فتحها «أمية بعدة أشهر ، بدليل ما ذكره ابن عذارى ، من ان دخول فرج بن عفير للمدينة ، كان يوم الجمعة الاول من شهر شعبان ، من السنة المؤرخة اى بعد ثلاثة اشهر من الاستيلاء عليها ، من قبل القائد أمية بن اسحاق القرشي ، انظر : كتاب ابن حيان : المقتبس ورقه 119 ـ البكرى : المغرب ص 104 ـ ابن عذارى : البيان ج 1 ص 204 .

فرج بن عفير ، واستقضى فيها ، حسن بن فتح واتصلت فيها دعوته فعظمت مملكته ، باختياره البحر بعدوتيه ، وملكه للساحلين بشاطئيه ، وامتداد طاعته في نواحيها ، عند ذلك قوى امر شيعته ، ومواليه بارض المغرب ، وتوالت رسل ملوكهم الى «المائة» وتوافرت هداياه ومعاونيه (1) ... وكان أول من سما الى ذلك من ملوك الأندلس وخلفائها منذ سكنها الاسلام » (2) .

أكرم الناصر لدين الله وفد أهل «سبتة» ، ورفع منزلتهم واغدق عليهم العطايا والالطاف واقر عليهم قاضيهم «حسن بن فتح» . كما جاء في النص ، واعادهم الى بلدهم محملين بالهدايا الثمينة (3) ، وأنفذ الناصر لدين الله في ذات الوقت سفيره القاضي ، محمد بن عبد الله بن ابي عيسى ، رسولا الى المغرب ، يحمل الكتب والوصايا ، الى جميع أهل الطاعة في المغرب ، ويخبرهم بما تم للخليفة الأموي من نصر ، بفتح مدينة سبتة فرضة المجاز ـ المقابلة للجزيرة الخضراء ـ وحثهم على مساعدة أهل المدينة ، اذا ما احتاجوا الى ذلك .

وقد قصد السفير الأندلسي ، في أول الامر شيخ زناتة محمد بن خزر ، ثم منصور بن سنان ، وموسى بن أبي العافية أمير مكناسة ، وزاهة بن مراج صاحب مدينة طنجة ، وصاحب مدينة نكور ، وأخيرا انتهى به المطاف الى رؤساء كل من مصمودة ، وعجكسة ، وكتامة الهبط ، وهوارة وغيرهم من أهل الطاعة (4) ، ثم اتصلت اليهم الرسل وتوالت من قبلهم الوفود ، وانتالت عليهم هدايا الناصر وصلاته (5) .

ولما انتهى خبر احتلال مدينة «سبتة» الى مسامع الادارسة من بني محمد ، نهضوا نحو المدينة وجردوا لها جيوشهم ، يريدون اقتحامها ، لكن حاميتها وجنود الناصر لدين الله المرابطين بها ، قاوموهم بشدة ، واستطاعوا ان يردوهم على اعقابهم مفلولين ، وفشلت بذلك جهود الادارسة ، في اعادة مدينة سبتة الحصينة الى نفوذهم ، وادركوا أنه لاطاقة لهم في استرجاعها ، فبادروا بالكتابة الى الناصر لدين الله ،

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 119
(2) نفس المصدر ورقة 115
(3) نفس المصدر ورقة 115
(4) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 116
(5) نفس المصدر ، ورقة 119

يعتذرون له عما فعلوه ، مظهرين الندم على ذلك ، فقبل الناصر اعتذارهم وأظهر هو الآخر تصديق قولهم ، وحرص على مصالحتهم ومسالمتهم ، وهي سياسة التسامح التي اتبعها عاهل الاندلس مع الرعية ، ورؤساء الاقاليم ، واخرج اليهم سفيره القاضي الدبلوماسي محمداً بن عبد الله ابن ابي عيسى ـ قاضي جيان ـ على عادته ، فاجتمع بهم ، ولاطفهم وسكن نفرتهم وهون من روعهم ، وعقد لهم على ولاياتهم ، واخذ بيعتهم للناصر وعاد الى الاندلس (1) .

اما ابراهيم بن ادريس بن عمر زعيم آل عمر من الاشراف العلويين الادارسة ومن معه من اخوته وبني عمه من ولد عمر ، المنافسين لبني محمد بن ادريس ابناء عمومتهم على السلطان في المغرب الاقصى فقد هبوا جميعا نحو سبتة بعد أن جيشوا الجيوش عسى أن يتم لهم ما لم يستطع ابناء عمهم من بني محمد القيام به وهو استعادة المدينة الى سلطانهم ، ولكن أملهم قد خاب أمام حصانة المدينة ومنعتها فعادوا من حيث أتوا ، ولم يلبث هؤلاء الادارسة أن سلكوا نفس الاسلوب الذي اتخذه ابناء عمومتهم من قبل وهو الاعتذار الى الناصر عما بدر منهم (2) ، واظهروا له الاخلاص وتضمن كتابهم شكوى ببني محمد ، والصقوا بهم تهمة الخروج لمحاربة جنود الخليفة في «سبتة» وقالوا في رسالتهم معتذرين لعبد الرحمن : «... وبنو عمنا محمد المباينون لنا ... اذ هم الجاحدون لنا ... أهل الأنكار ، لدعوته والرفع ببيعته والكراهة لدولته ، زحفوا الى مدينة «سبتة» ـ يقصدون بني محمد ـ .. وكنا معشر ولد عمر على خلاف ذلك من أهل الصفو له أيده الله ، والاعتراف بحقه ، .... ننابذ من نابذه ... ونقوم لقيامه ، ونقعد لقعوده ، ونحارب من حاربه ، ونسالم من سالمه ،ونوالى من والاه ، ونعادي من عاداه ، ونقف عند أمره ونهيه ونحن اعز الله أمير المؤمنين سيدنا مستمعون لما يأتي من رأيه في أمر بني محمد ثم تكون منا السمع والطاعة» (3) . وبعثوا مع هذا الكتاب من انفذ بيعتهم وولاءهم له في شهر رجب من سنة 319هـ/931م . ووقع عن الادارسة ، ابراهيم وعيسى ابنا ادريس ، وابن عمهم يحيى بن الحسن ، وجميع رؤساء غمارة (4) .

---

(1) أبن حيان : المقتبس،ورقة 116

(2) ابن حيان : المقتبس،ورقة 118

(3) ابن حيان : المصدر السابق،ورقة 118

(4) ابن حيان : المصدر السابق،ورقة 119

والظاهر أن الخليفة الناصر لدين الله كان يجاملهم ، ويظهر تصديق قولهم بين الآونة والاخرى بتقبل عذرهم ، ومداهنتهم ، تمشيا مع سياسة اللين التي رسمها لنفسه ، فقد اجابهم عن كتابهم واستطاع بفضل سياسته وحنكته أن يصلح ذات البين ، ما بين ابناء العم وأن يكسب طاعتهم جميعا (1).

وكان بنو محمد قد سبقوهم الى البيعة في شهر جمادي الآخر كما أسلفت عندما جاءهم ثقة الناصر وسفيره ابن ابي عيسى ، فاخذ بيعتهم بدون قيد أو شرط ، على عكس بني عمر الذين اشترطوا عليه أن يتخذ موقفا معاديا من بني محمد خصومهم على السلطة ، ثم يكون بعد ذلك منهم السمع والطاعة .

وقد اعترف بنو محمد للناصر لدين الله اعترافا ضمنيا ، بأنه صاحب الحق الشرعي في الخلافة ووراثة عرش اجداده بني أمية الذين تنازل لهم الحسن عنها . أما هم فلم يدخلوا هذه الارض عن افتتاح فتحوه أو عن ميراث ورثوه ، وانما كانت صدفة صادفت جدهم ادريس الاول اثناء لجوئه الى هذا البلد ، وبعثوا للناصر بكتاب طويل نقتطف منه ما يلي على سبيل المثال : «.. والذى اعترفنا به لك غير متنكر علينا لانا لم ندخل البلد عن افتتاح افتتحناه ، ولا عن ميراث طلبناه مع الذي تقدم من فعل جدنا الحسن بن علي في التسليم لسلفك وما مضت عليه جدودنا من البيعة لاجدادك ... وقد سارعنا الى كل مارآه أمينك (ابن ابي عيسى) من عقد الايمان المؤكدة ، واعطاء العهود المغلظة التي حملناها على أن نوالي من والاك ، ونعادي من عاداك ... وقد أمرنا باقامة الدعوة لك على جميع منابرنا في كل عملنا ..» (2) يتضح من هذا النص أن التنافس بين الأدارسة من الفرعين (بنو عمر وبنو محمد) على السلطة والزعامة كان على أشده . فكان كل فريق منهما يريد أن يكسب رضى الخليفة الناصر لدين الله وتأييده ضد الفريق الآخر .

محاولة الناصر للاستيلاء على جزيرة ارشقول سنة 320هـ / 932م

كما حاول الناصر لدين الله بعد فتح سبتة ان يستولي على جزيرة «ارشقول» التي

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 119

(2) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 117 ، 119

لجأ اليها الحسن بن عيسى بن أبي العيش ، صاحب مدينة جراوة (1) ، خوفا من موسى بن أبي العافية الذي استولى على ما كان بيده من اعمال عندما تغلب عليه ، وكان الحسن هذا قد أظهر العصيان ، وخالف حلفاء الناصر لدين الله ، وحارب موسى بن أبي العافية ، الا أن موسى تغلب عليه واضطره الى الفرار فاستقر في جزيرة «ارشقول» المنيعة وقد حاول موسى اقتحام هذه الجزيرة لكنه لم يستطع لحصانتها ، فكتب الى الناصر لدين الله يلتمس منه المدد والمساعدة العسكرية ليتمكن من غزو الجزيرة وطرد الادارسة منها ، فلم يتأخر الناصر لدين الله بتقديم العون له وأمر باخراج اسطوله اليها مجهزا تجهيزا كاملا ، بالجنود والمعدات ، فاقلع موسى من الجزيرة الخضراء يوم السبت 30 من جمادي الأول سنة 320 هـ / 932م في مائة وعشرين قطعة حربية (2) على متنها نحو سبعة آلاف جندي بحري منهم خمسة آلاف بحار ، ونحو الف من الحشم يتقدمهم تسعة من المتطوعين من وجوه أهل بجانة والمرية في مراكبهم وأهم هؤلاء المتطوعة : محمد بن رماحس وقاسم بن عبد الرحمن ومحمد بن سهل أخو هارون بن سهل (3) ، وتولى قيادة الأسطول قائدان من قبل الخليفة هما : احمد بن محمد بن الياس ، وسعد بن يونس بن سعد وأن دل هذا العدد الضخم من السفن والمقاتلين المشتركين في هذه الحملة على شيء ، فانما يدل على مدى أهمية هذه الجزيرة الجزائرية وحصانتها . وكونها مفتاح المغرب الأوسط .

حاصر الأسطول الأندلسي الجزيرة مدة طويلة ، حتى كاد أهلها أن يموتوا عطشا ، لنفاذ المياه من جبابهم بسبب طول الحصار ، ولولا أن تداركهم الله بغيث وابل ملأجبابهم وأروى ضمأهم ، لكادوا أن يهلكوا جميعا ، عندئذ لم يجد القائدان بدا من العودة الى «المرية» هروبا من هجوم فصل الشتاء عليهم ، دون ان يتما فتح الجزيرة (4) .

---

(1) انظر ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 125 ، البكرى : المصدر السابق ص 78 .

(2) ابن حيان المصدر السابق ، ورقه 125 ، قارن بما ذكره البكرى (المغرب ص 78) من أن عدد قطع الاسطول الذي حاصر جزيرة ارشقول بلغ خمسة عشر مركبا حربيا فقط .

(3) ابن حيان : المصدر السابق ، ورقة 125 . اشتراك مثل هذه المجموعة البحرية المتطوعة تدل على أن بعض الأفراد الأندلسيين يزالوا يملكون بعض السفن البحرية لحسابهم الخاص كما كان الحال في عهد الإمارة .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 125 ، البكرى : المصدر السابق ص 78 ، ابن عذارى : البيان جـ 1 ص 205 .

والجدير بالملاحظة هنا هو أنه على الرغم من فشل الاسطول الاندلسي من احتلال جزيرة ارشقول في هذه المرة فانه استطاع الاستيلاء عليها سنة 325هـ / 937م (1) .

الاستيلاء على مدينة أصيلا سنة 322هـ / (934م)

وكان من الطبيعي أن يقدم الناصر لدين الله بتوسيع دائرة نفوذه في بلاد المغرب وان يضع قبضته على معظم الثغور الساحلية المغربية . فعندما نكث أهل مدينة اصيلا سنة 322هـ / 937م ، وخلعوا طاعة بني أمية ، وكانوا قد بعثوا بولائهم للناصر لدين الله بعد فتحه لمدينة سبتة سنة 319هـ / 931م فاغزى الناصر اليهم اسطوله بقيادة عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة فدخل المدينة ، وسكن أهلها واخذ رهائنهم توثقة للطاعة ، واستعمل عليهم احد الموالين لبني أمية من وجوه بربرها ، هو ابراهيم بن العلا ، وترك معه فرقة من الحشم والرماة لتعزيز حامية المدينة والدفاع عنها ، وعاد الى مدينة المرية في شهر شوال من نفس السنة (2) .

الاستيلاء على مدينة طنجة سنة 323هـ (935م)

وكان من الطبيعي أيضا أن يمتد بصر الخليفة الناصر لدين الله الى الركن الاقصى لشمال المغرب حيث توجد مدينة طنجة الهامة ، وقد عرفنا فيما سبق كيف اسرع سكان هذه المدينة لبيعة العاهل الأندلسي والدخول في طاعته حينما استولى اسطوله على مدينة سبتة ، ولهذا لم يقدم الناصر على احتلالها عسكريا خلال هذه المدة (3) .

ولما جاءته الأنباء بانتفاضهم للطاعة . أمر قائده عبد الملك بن سعيد ابن أبي حمامة ـ الذي كان يقوم بمهمة جهادية في شواطىء «برشلونة» ـ أن يتوجه بأسطوله نحو سبتة ، وذلك في شهر رمضان سنة 323هـ / 935م فاحتل عبد الملك مرسى «واسط» التي تقع بين مدينتي سبتة وطنجة ، وأقام القائد الاندلسي بقية السنة مترددا بين الثغور

---

(1) نفس المصدر ، ورقة 153 ، ابن خلدون : العبر ج 6 ص 277 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 137

(3) نفس المصدر ، ورقة 119

الساحلية للمغربين الأقصى والأوسط يؤدب المتنفضين ويخضع الثائرين الى أن أقبل فصل الشتاء فعاد الى الاندلس بأسطوله في شهر صفر سنة 324هـ / 936م ، بعد أن اخضع أهل طنجة (1) .

وهكذا استطاع الناصر لدين الله ان يستولى على معظم الثغور البحرية المغربية مثل : مليلة وسبتة واصيلا وطنجة وجزيرة ارشقول ، وأصبح بذلك يتحكم في غرب البحر الابيض المتوسط «فاشتد سلطانه وصار المجاز في يده» (2) وبعد ذلك أخذ الخليفة الناصر لدين الله يتدخل في شؤون المغرب تدخلا مباشرا لاثارة المغاربة ضد النفوذ الفاطمي (3) .

وبعد أن استتب للناصر لدين الله الامر في ربوع الاندلس ، وسادها الهدوء والاستقرار ، عزم ان يصرف انظار رعيته عن الفتن والقلاقل والتفكير في الثورة والخروج عليه ، فاقدم على مشروع خطير ، هو توحيد العالم الاسلامي تحت لواء الخلافة الاموية بقرطبة بعد ازالة الخلافة الفاطمية وقطع دابرها من افريقية والمغرب ، والاطاحة بخلافة بني العباس في بلاد المشرق ، ومن المعروف أن فكرة توحيد المغرب بالمشرق قد راودت الخلفاء العباسيين الاوائل كما صارت تراود الفاطميين كذلك ، فلا أقل من أن يفكر في تحقيقها خليفة الأندلس ، خصوصا بعد أن توفر لديه الكثير من النفوذ والسلطان في بلاد العدوتين .

وكان عبد الرحمن الناصر يهتم كثيرا بالجنود المغاربة ويعقد عليهم آمالا عريضة في تنفيذ هذا المشروع الاندلسي الكبير ، وتشير بعض النصوص التاريخية (4) الى ان خليفة قرطبة كان لايخلي رسالة من رسائله الموجهه الى زعماء المغرب دون أن يحثهم فيها على مؤازرته لتحقيق هذا المشروع وراح يغدق عليهم الهدايا والالطاف والخلع ، وبذل في هذا السبيل أموالا طائلة ، فبعث الى عميد الموالين له في بر العدوة وهو محمد بن خزر يأمره بالاستعداد والتعبئة واستنفار القبائل ، لهذا الشأن وانتظار اليوم المناسب ،

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 145

(2) المقرى : ازهار الرياض في أخبار عياض ، ج 2 ص 257 تحقيق مصطفى السقا ومجموعة من الاساتذة القاهرة 1939 .

(3) د . أحمد مختار العبادى : دراسات ص 74

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 323

الذي يحدد لهم الخليفة للنهوض نحو المشرق ، كما أمر عماله في الاندلس بالتأهب وأعداد الرجال والاجناد ، وانتقاء الرماة ، ومضاعفة عدتهم وعددهم ، وأمر أيضا بتجديد آلات الحرب ، وصنوف الأسلحة ، وأخذ يكثر من جمع المراكب وتطويرها والتوسع في عددها وجعلها فرقتين الأول تتجه نحو سبتة لشحن الجنود المتطوعة ، والاخرى الى منطقة وهران (1) . وكان يريد ايضا بالاضافة الى احياء ملك اجداده في المشرق تخليص الحجر الأسود من عبث القرامطة الذين استباحوا حرمات البيت (2) ، وفي ذلك يقول ابن حيان : «... لما تفرغ باله ـ اى عبد الرحمن الناصر ـ وتقضت بالاندلس اشغاله ، واكتملت له في اعدائه آماله ، ولم يبق عليه فيها بقية يعانيها ، ولاجال يستعمل رجاله فيها ، حرف عزيمته وأمال همته الى ما بين يديه ، من اسباب المشرق ، وطلب ما لم يزل لاوله حقا وله ميراثا ... وحماية بيت الله الحرام المنتكثة حرمته المعظمة المسلوب ركنه المغلوب أهله ، وقد أمر أمير المؤمنين بالتأهب والاستعداد بالرجال ، والاخبار بتجنيد الأباة ، وانتقاء الرماة ، وتضعيف العدد وتكثير العدة ، وتجديد الالات وتكميل الادوات ، والحشود بالجنود لميقات معلوم ، وأن يستكثر من جمع المراكب ، الى ما قد قام منها ، وبتوسيع عددها بتجميل الاساطيل المؤيدة ... والسير طائفة منها نحو سبتة وأخرى الى جهة وهران ... فاستعد ـ يقصد محمد بن خزر ـ وتأهب لتكون صدر القواد كما أنت صدر أولي الوداد....» (3) .

ولم يلبث الناصر لدين الله ان بعث برسالة مماثلة الى شيخ مكناسة موسى ابن أبي العافية يخبره فيها بما ينوي القيام به ، ويطلعه عما تم له من اعداد الجنود

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 122 ـ معلومات انفرد بها ابن حيان ولم يتطرق اليها غيره من مؤرخي المغرب والاندلس .

(2) يقصد بذلك اقتلاع الحجر الأسود من مكانه في مكة بيد سليمان بن الحسن القرمطي سنة 317 هـ وبأمر من جعفر بن أبي علاج القرمطي في عهد المقتدر العباسي ، ولما مات جعفر ، رد اخوته الحجر الأسود الى موضعه سنة 339 هـ/950 م ـ أنظر ابن عذارى ج 1 ص 220 ويقول ابن حيان في هذا الصدد (ورقة 124) «في طلبه (اي الناصر) لملك المشرق ، واشفاقه بما انتهك من حمة الذين بما فعله القرمطي .. وذلك مما شد أمير المؤمنين عزما وشغل قلبه غيظا وغما ... وهتك البيت الحرام واستلب ما فيه . وحدث فيه ما لم يحدث في الاولين ولايزال في الآخرين» .

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 122 / 123 .

والاساطيل ، ويأمره هو الآخر باستنفار القبائل وتعبئة الجيوش لذات الغرض ، ووعده بالمكافأة والالطاف ورفعة المنزلة (1) .

ولكن هذه الفكرة ظلت حبيسة المخيلة لم تتعداها ، اذ لم تنزل حيز التطبيق ، وثبت أنه يستحيل تنفيذها ، نظرا لبعد الشقة بين الاندلس والمشرق ، وعدم توفر الامكانيات اللّازمة لهذا المشروع الضخم ، والخطير في نفس الوقت .

وقد صادف هذه السنة اى سنة 320هـ / 932م ان وقع خلاف بين الزعيمين المغربيين محمد بن خزر ، وموسى بن أبي العافية ، أسفر عن نشوب حرب طاحنة بينهما ، هزم خلالها محمد بن خزر ، وكان سبب هذا الخلاف كما تذكره المصادر(2) هو تأييد محمد بن خزر لابن أبي العيش الحسني في حروبه ضد موسى بن أبي العافية ، فخشي الناصر لدين الله من فساد أحدهما على دولته ، ولاسيما وان موسى المكناسي حديث العهد بالطاعة ، فقد كان يلى عبيد الله المهدي ويدين له بالولاء .

فأخرج الناصر لدين الله اليهما سفيره القاضي المغربي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى ، فاستطاع ان يزيل الخلاف الذي كان بين الزعيمين المغربين المكناسي والزناتي ، وان يصلح بينهما ، حتى كتب موسى الى الناصر يعتذر عما بدر منه ، ويبرر موقفه في رسالة طويلة ، ارفقها بهدية جميلة تتكون من أثنى عشر فرسا من جياد خيوله ، فكافأه عنها خليفة قرطبة بهدية قيمة (3) .

وفي سنة 321هـ/933م ، سرح الناصر لدين الله القائد ، عبد الملك بن أبي حمامة في قطعة من الاسطول الى مدينة سبتةالمغربية ، ثم أردفه بقطعة أخري بقيادة سعيد بن يونس ، وكان هذا القائد قد خرج لقتال الفرنجة في عشرة مراكب وخمسة شواني ، لكن العواصف حالت دون تقدمه نحوبلد الفرنجة ، وعطبت له بعض المراكب ، فاضطران يعود من حيث أتى الى ميناء طرطوشة ، ومنها تحول بأمر الخليفة الى الشاطىء المغربي حيث أرسى في مدينة سبتة ليقوم بتدعيم وحدة عبد الملك بن أبي حمامة

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 124 ـ 125

(2) نفس المصدرورقه 123 ـ ابن عذاري : البيان جا ص 204 ـ 205

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 123

في السواحل المغربية وارهاب أهل العصيان ، وتعزيز صفوف أهل الطاعة وظل القائدان باسطولهما هناك الى أن أقبل فصل الشتاء ، فقفلا عائدين الى مدينة المرية (1) .

وفي نفس السنة ورد على الناصر لدين الله كتاب من ابراهيم بن العلا ، وعلون بن شراق وجماعة من سكان مدينة « أصيلا » يؤكدون له ولاءهم ، ويخبرونه بأن بني محمد الادارسة هجموا عليهم على حين غفلة طامعين في المدينة لكن الله منحهم اكتافهم ، فانصرفوا مهزومين ويرجع الفضل الاول في هذا الانتصار الى المساعدات والامدادات السريعة التي قدمها وليه وصفيه موسى بن أبي العافية ، ثم سألوه انفاذ قوة من الحشم تقيم عندهم ، لتعضيدهم في الدفاع والذود عن المدينة ، فأمر الناصر لدين الله عامله على «سبتة» محمد بن أصبغ أن يمدهم بما يحتاجون اليه (2) .

وعندما استولى موسى بن أبي العافية على ملك الادارسة العلويين في تلمسان ومدينة أرشقول وجراوة ، وفاس ، والبصرة ، وأجبر بعضهم على طاعة بني أمية في الأندلس ، وعلم بذلك عبيد الله المهدي أرسل جيشا من عشرة آلاف مقاتل بقيادة حميد بن يصل المكناسي ، صاحب تاهرت وابن أخي مصالة بن حبوس (3) . وقد انتهت هذه الحرب بفرار موسى واصحابه ، من مدينة فاس ومضوا الى حصن «بعين اسحاق» ببلاد تاسول فتحصنوا به ، وبعث موسى الى الناصر لدين الله يستنجده ، فلم يتأخر هذا الاخير ، وجرد اليه قوة كبيرة ، من الجند بقيادة قاسم بن طملس فنزلت في مدينة سبتة ، ثم كتب الناصر يستنفر القبائل المغربية ضد صاحب الشيعة ، ولم يكتف بهذا بل ارسل مرة أخرى وحدة بحرية قام بتجهيزها على جناح السرعة ، اذ أن الاسطول الاندلسي في هذه الفترة كان يقوم بالجهاد في سواحل الفرنجة .

واستطاع موسى بن أبي العافية ، أن يهزم اعداءه ، بفضل الامدادات السريعة والجهود المكثفة المشتركة المغربية الاندلسية ، فقتل عددا كبيرا وغنم منهم خيولا كثيرة .

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 128

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 129 ، لم يرد هذا الاسم في جملة ولاة الناصر لدين الله على مدينة سبتة في كتاب البيان لابن عذارى (ج 1 ص 304) .

(3) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص 56 ـ السلاوي : الاستقصا ص 83 .

وعاد حميد بن يصل الى تاهرت مفلولا ، وكتب موسى الى عاهل الاندلس يخبره بالنصر ويشكره على نجدته (1) .

وفي هذه السنة أي سنة 322هـ / 933م ، وردت على الناصر لدين الله بقرطبة رسالة من صفيه موسى بن أبي العافية يخبره فيها بقدوم ميسور الخصي غلام أبي القاسم بن المهدي ، وبرفقته صاحب تاهرت ابو مالك يغمراسن بن أبي شحمة الكتامي ، فتوغل ميسور وأصحابه في المغرب الأقصى ، وأنزل به دعاة الشيعة وفرقهم في مختلف المناطق ، ودعا بعض القبائل المغربية المحادية لأعمال موسى بن أبي العافية لطاعة المهدي ولكنهم أبوا ذلك ، ولاذوا بالفرار الى أوغارهم ومعاقلهم وتحصنوا بها ، فلما يئس منهم ، كاتب أهل مدينة فاس وأعطاهم العهود الغليظة ، وأكد لهم سلامتهم وأمنهم إن هم نزلوا وانضموا الى صفوفه ، فاغتر به محمد بن ثعلبة صاحب مدينة الاندلسيين (2) ، واحمد ابن بكر أمير عدوة القرويين (3) ، وقدما اليه مع وجوه من رجال العدوتين (المدينتين) ولما صارا بين يديه غدر بهما وأخذهما واستولى على ما كان معهما من خيل واسلحة وغيرها وبعث بهما الى المهدية (4) .

وحينما رأى أهل المدينة ذلك أغلقوا الابواب في وجهه ، وقدموا على انفسهم حسن بن قاسم اللواتي فحاصرها ميسور سبعة أشهر ، ولما طال الحصار صالحه أهلها

---

(1) ابن حيان : المقتبس، ورقة 129 ، 130 ، 131 ، معلومات جديدة لم ترد في كتب مؤرخي المغرب فابن أبي زرع يذكر انه لما انهزم موسى الى حصن «عين اسحاق» تقدم حميد الى فاس بعد فرار مدين بن موسى منها فاستعمل حميد عليها حمدان بن حمدان الهمذاني ، ثم عاد الى افريقية وذلك سنة 321هـ / 933م وحينما هزم موسى وبلغ ذلك بنو ادريس تظاهروا بحجر النسر على ابي القاسم قائد ابن ابي العافية فهزموه وقتلوا عسكره انظر روض القرطاس، ص 56 . السلاوى الاستقصا ص 83 ـ البكرى : المغرب، ص 128 ـ ابن خلدون العبر جـ 6 ص 275 .

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 137 ، ابن خلدون : العبر جـ 6 ص 275 ، بينما يذكر ابن أبي زرع (روض القرطاس ، ص 55) . بأن موسى قتل عبيد الله بن ثعلبة بن محارب عامل فاس من قبل المهدي وولى مكانه أخوه محمد بن ثعلبة ، ثم عزله وولى مكانه طوال بن يزيد .

(3) وكان أحمد بن بكر قد ثار في مدينة فاس على عامل الشيعة حامد بن حمدان الهمذاني وقتله وبعث برأسه وولده الى موسى بن أبي العافية الذي بعثه الى الناصر لدين الله بقرطبة مع سعيد بن الزراد انظر : البكرى : المغرب ص 128 ـ ابن عذارى : البيان جـ 1 ص 209 ، بن أبي زرع : روض القرطاس ص 55 ، السلاوى : الاستقصا جـ 1 ص 83 .

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 137 ، روض القرطاس ص 55 ، السلاوى : المصدر السابق جـ 1 ص 83 .

على دفع مبلغ من المال قدره ستة آلاف دينار وكتبوا بيعتهم الى أبي القاسم الشيعي ، وطبعوا اسمه على سكتهم ، وخطبوا له على منابرهم ، فخلى سبيلهم واتجه نحو موسى بن أبي العافية بحصن «لكاى» (1) وتمركز بالقرب منه على مسافة ستة أميال . وأقام أربعة أيام يكاتب موسى في الاعتراف بطاعة الفاطميين ، لكن موسى أنف من ذلك ولم يجبه فتقدم ميسور نحوه بجيش كبير ، ودارت بين الفريقين حرب ضروس انتهت بانتصار موسى بن أبي العافية على ميسور الخصي (2) .

وقد اغتنم الادارسة (بنو محمد وبنو عمر) فرصة انشغال موسى في الحرب وساروا الى مدينة أصيلا في محاولة أخرى لاعادتها الى نفوذهم الا أنهم فشلوا هذه المرة أيضا .

وكان موسى قد بعث الى محمد بن حزب الله صاحب سبتة يدعوه الى ارسال جيش ومراكب لمقاتلة هؤلاء الادارسة لكنه تماطل وتعلل بأنهم لايزالون ملتزمين بالطاعة للعاهل الاندلسي فغضب موسى لهذا الجواب ، وكتب الى الناصر يشكو عامله ويؤكد له أثبات مساعدة بني محمد وبني عمر لميسور في حربه ضده ، ويحذره من محمد بن حزب الله وسوء معاملته للمغاربة وفي ذلك يقول : « وان محمد بن حزب الله المخدوع كثير الطمأنينة لم يحسن تحكم معاملة البرابرة ، فيكن من أمير المؤمنين اليه تبصرة والله يكشف له عن الضال ويغيه المكارة » (3) . فأجابه الناصر وطمأنه ونوه بشجاعته واخلاصه وبعث له بهدية قيمة (4) .

وعاود ميسور الفتى خروجه الى المغرب في السنة التالية أي سنة 323هـ / 934م على أثر الثورة التي قام بها أهل «تاهرت» ضد عامل الشيعة أبن أبي شحمة وذلك بعد أن اتفقوا مع أهل السنة من المغراويين على طاعة الناصر ، خرج ميسور في جيش

---

(1) السلاوى : الاستقصا ص 83

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 138 يتبين من هذا النص ومن نصوص بعده أن ميسور قام بحملتين الى المغرب الأقصى الأولى كانت سنة 322 هـ / 933 م انهزم فيها والثانية كانت سنة 323 هـ / 934 م التي انكشف فيها موسى نحو الصحراء ، بينما تذكر مصادر المغرب والأندلس الأخرى انه خرج مرة واحدة في هذه الفترة وهي التي انهزم فيها موسى سنة 323 هـ . أنظر البكري ص 128 ـ روض القرطاس ص 56 ـ السلاوي جـ 1 ص 83.

(3) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 138 .

(4) نفس المصدر ، ورقة 138 .

كبير ، ومعه بعض القواد أمثال أبن أبي شحمة المخلوع وصندل الفتى ، لاخماد الثورة ومطاردة الفتيان والقواد ، الذين فروا من افريقية ، ولجؤوا الى موسى بن أبي العافية خائفين على أنفسهم بعد الانقسام الذي دب في الأسرة العبيدية بعد وفاة عميدهم عبيد الله المهدي . وقد قتل أبو القاسم عددا من أخوته (1) ، واضطره هذا الى الخروج من مدينة المهدية الى رقادة بعيدا عن دسائس أخوته ومؤامراتهم واستقر بها مع أهله وحشمه (2) .

وقد لاحظ ذلك ابن أبي العافية في كتابه الموجه للناصر بقوله : «وسقط في أيديهم ، وزاد في خوفهم (أى القواد والفتيان) ما فيه طاغيتهم أبو القاسم مع أخوته بالمهدية من خلاف وتساقط كثير منهم ومن شيعهم علينا ، وهرب طوائف من عسكرهم مستأمنين الينا حتى صارت الطريق سالكة الينا من عندهم،بالهاربين من فتيانهم وأولي البأس منهم» . هذا وقد اجتاز كثير منهم الى بلاد الأندلس (3) ، وبعث موسى ، بتقرير مفصل للعاهل الاندلسي ، عن الأوضاع المضطربة في المهدية،ثم أخذ يسأله الامداد العسكري ، حتى يستطيع أن يمد سلطانه على هذه المنطقة ولاسيما وأن القواطم في المهدية يتخبطون في أزمة سياسية خطيرة ، اذ كثرت الخلافات بين الأسرة الحاكمة وفي ذلك يقول : «فالأمور هناك مضطربة ... فلو كانت من أمير المؤمنين مبادرة ، الى امدادنا لرجونا الفرصة فيهم ، ورجونا بحول الله انتظام طاعته من أقصى المغرب الى أنأى المشرق (4)» .

والظاهر ان الناصر لدين الله كان يولي لمدينة سبتة عناية خاصة دون غيرها من المدن الساحلية المغربية الاخرى . وهذا ما تبين من خلال رسالة موسى بن أبي العافية الى الخليفة الناصر ، ومرد هذا الاهتمام أن الخليفة الأموي كان يعتبرها أهم قاعدة تمكنه من التحكم في ممر مضيق جبل طارق وغرب البحر المتوسط وهي الجديرة بأن تحافظ على استمرار واستقرار نفوذه وسلطانه على أرض المغرب .

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 139 ويذكر انه قتل اخوته جميعا ماعدا واحد منهم قد استطاع الفرار والاختباء بقبيلة كتامة التي أيدته وبايعته خليفة لينافس أبا القاسم ، كما قام بقتل عدد كبير من كبار رجال الدولة .

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 147 .

(3) نفس المصدر ورقة 145 .

(4) ابن حيان : المقتبس ورقة 147

لكن الزعيم المكناسي يخالفه في وجهة نظره ، ويذكره بأنه لاخوف على مدينة «سبتة» ولاداعي للاكثار من تزويدها بالمؤن والجيوش ، اذ أن حامية صغيرة من أهلها تكفي للدفاع عنها . فهي حصينة بطبيعتها ومن يريدها من الأعداء لايستطيع ان يصل اليها لان البحر يحيط بها والوعر يكتنفها من حولها (1) .

وربما يصدق هنا المثل العربي القائل بأن «أهل مكة أدرى بشعابها» فقد أخذ موسى يلح على الناصر لدين الله،بضرورة ضبط مدينة طنجة وتزويدها بالجند والاسلحة وبما تحتاجه من عتاد ومؤن ، فانها ترعى انتباه الادارسة دائما ، ومحط انظارهم ، وهي عرضة لهجماتهم المتكررة والغرض من شكها بالرجال والعتاد هو حمايتها من غارات الادارسة والضغط عليهم بواسطتها حتى لايتطلعوا الى اخوانهم المشارقة ، وبالتالي يضمن استمرار طاعة أهل المغرب للناصر لدين الله (2) .

وفي آخر سنة 323هـ / 934م ، ورد كتاب آخر من موسى الى الناصر لدين الله يخبره بأن ميسور الخصي واصحابه تقدموا نحوه الى حصن «لكاى» يساعدهم في ذلك الادارسة من بني محمد ، وبني عمر ، وقامت بينهم حرب ضارية ، اختلط فيها الحابل بالنابل ، وأخل فيها العاقل أسمه ، وكانت هذه الجولة لصالح موسى بن أبي العافية ، الذي قتل منهم نحو مائتي فارس وغنم منهم خيلا كثيرا (3) .

ولم يلبث أن وصل على أثر كتاب موسى بن أبي العافية كتاب آخر من اسماعيل بن عبد الملك الى الناصر لدين الله يعلمه بما حدث لجيش نصيره موسى وانكشافه الى الصحراء أمام جيش ميسور الخصي ، فقد فر موسى بمن معه متعلقا بفيافي الصحراء حتى لايتمكن منه قائد الشيعة بعد أن هزمه وقتل كثيرا من جنده (4) .

ووصلت سفارة الى قرطبة من أبراهيم بن أبي العيش تحمل اخبار موسى بن أبي العافية ، وما صار عليه من حال بعد هزيمته امام الخصي ميسور ، كما انها جاءت

---

(1) نفس المصدر ورقة 146 .

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 146

(3) نفس المصدر ورقة 147

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 147 ويضيف ابن خلدون (العبر ج 6 ص 277) انه كانت بينهما حرب الى ان غلبه ميسور وتقبض على ابنه الغورى ، فغربة الى المهدية ، واجلى موسى عن اعمال المغرب الى نواحي ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء وقفل عائداً الى افريقية .

لتجدد ولاءها للناصر لدين الله ، متبرئا من التهمة التي نسبت اليهم ، وهي المشاركة في الحرب مع الشيعة ضد موسى بن أبي العافية .

وقد جاء في رسالتهم التي سلموها للعاهل الأندلسي ما يلي : «... بلغنا أنه نمي الى سيدي أمير المؤمنين عنا أنا توجهنا الى الفاسق ميسور لايسر الله أمره على أسوأ الوجوه ، ولم يكن ذلك أكرم الله ، سيدنا أمير المؤمنين . يبادرنا الى قائده محمد بن حزب الله ـ صاحب سبتة ـ بالرهائن التي تكون وثيقة على طاعتنا ، واسلمنا اليه مع ذلك رهائن كل من أنضوى الينا من البربر حتى يقتنع بالتوثقة» (1) .

ويبدو انه رغم ما عبر عنه الادارسة في رسالتهم من طاعة للخليفة الاندلسي وولاء له ، فانهم غير صادقين فيما يقولون ، وأنهم غير مخلصين فيما كانوا يظهرون للناصر لدين الله وإنما اتخذوها مطية لكسب رضاه ، وتفادى غضبه حتى لا يثير عليهم القبائل البربرية الموالية له في المغرب والظاهر أن الناصر على بيّنة من ذلك ، وإنما كان يمنحهم الفرص لعلهم يصدقون ، تمشيا مع سياسته ، فعندما قدم ميسور الخصي الى المغرب الأقصى هللوا لقدومه ، وهرعوا لاستقباله ولم يقفوا عند هذا الحد بل اشتركوا معه بكل ما يملكون من قوة ضد موسى بن أبي العافية ، اذ كانت الفرصة مواتية لهم للانتقام من هذا الزعيم المكناسي ، الذي طردهم من جُلّ اعمالهم وحجرهم في الاوعار ، وقد استطاع هؤلاء العلويون ان يستردوا كثيرا من المدائن التي كانت في حوزة موسى بن أبي العافية بعد فراره الى الصحراء أمام الجيش الفاطمي (2) .

لم يتأخر الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله في نصرة موسى بن أبي العافية ونجدته ، فقد أغزى الخليفة اسطولا الى الشواطىء المغربية ، يتكون من أربعين مركبا حربيا ، حمل على متنه ثلاثة آلاف مقاتل منهم خمسمائة من الحشم ، وكان اندفاع هذه السفن الحربية من مدينة سبتة الى مدينة مليلة ونكور وجراوة فتم له السيطرة عليهما ، وظلت هذه السفن تجوب الموانيء المغربية مدة تزيد عن ستة أشهر ، فاعتز بذلك موسى بن أبي العافية ، وأعاد ما كان قد فقده من مدائن واقاليم ،

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 148

(2) السلاوي : الاستقصا ج 1 ص 83 . ويذكر البكري (المغرب ص 128) وابن عذارى (البيان ج 1 ص 209 انه لما ورد ميسور الى المغرب حاصر موسى بن أبي العافية وتولى معظم تلك الحروب بنو ادريس حتى جلى موسى الى الصحراء ، وصار ما كان بيده الى آل ادريس .

ثم قفل الأسطول بعدها عائدا الى الأندلس سنة 324هـ/ 935م بعد أن أنهى مهمته (1) .

ويروي المؤرخ أبن حيان أنه في هذه السنة أى 324هـ / 935م توالت على قرطبة أربعة كتب من أربعة مواضع تحمل نبأ أربعة فتوح . قرئت كلها في يوم واحد في المسجد الجامع بقرطبة يوم الجمعة (2) .

وفي ذلك اشاد الشاعر ابو عثمان بن أدريس :

فتوح توالت بالسعود الطوالع قلدتها الاسماع من كل سامع
وقائع أدتها صحائف اربع تخبرن عن انباء تلك الوقائع (3)

لم يقتصر التعاون بين المغاربة وعبد الرحمن الناصر على الناحية السياسية والعسكرية فحسب بل شمل أيضا النواحي الاقتصادية والعمرانية ، اذ أنه لما عاد موسى بن أبي العافية الى اعماله من الصحراء سنة 324هـ / 935م بعث الى الناصر يلتمس منه تزويده بالمؤن حتى يستطيع ان يخرج من الظروف القاسية التي حلت به من جراء حملة ميسور الخصي وطلب منه ايضا مساعدته بالمهندسين والبنائين والمساعدين المتخصصين في ميدان العمران ومواد البناء والآلات اللازمة للبناء ، ليعيد اصلاح وبناء ما افسدته الحرب ودمرته المعارك ، كما طلب منه الاسراع بتجريد قوة بحرية الى احدى الموانىء التابعة لاعماله لتشد من ازره ، وحتى يتنسى له استخدامها عند الضرورة (4) .

فأجابه عبد الرحمن الناصر لما طلب وبعث له ما يحتاجه من مواد البناء المختلفة والمهندسين والبنائين وما أشبه ذلك ، فانفذ اليه محمد بن الوليد بن فشقيق رئيس المهندسين الأندلسيين ومعه ثلاثون بناء وعشرة من النجارين وخمسة عشر من الحفارين وستة من الجبارين المهرة في عمل الجبر ، وستة من النشارين لنشر الخشب وحدادين

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 149 . ويذكر ابن خلدون (كتاب العبر ج 6 ص 377) ان موسى بن أبي العافية رجع من الصحراء الى اعماله في المغرب فملكها وطل على عدوة الاندلسيين أبا يوسف بن محارب الازدى وخاطب شيخ مكناسة العامل الاندلسي في الامداد . فبعث له عددا من اسطوله لتحميه .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 149

(3) نفس المصدر ورقة 150

(4) ابن حيان : المقتبس ورقة 151

وحصارين ، اختارهم من أمهر واحذق الحرفيين الاندلسيين وجهزهم بآلاتهم وأدواتهم (1) .

وكذلك ارسل اليه مؤونة تتكون ، من اصناف مختلفة من الأطعمة والحبوب مثل : القمح ، والشعير ، والفول ، والحمص ، والعسل ، والسمن ، والزيت وما شابه ذلك وانواعا أخرى من الهدايا ، والطرائف اللطيفة وكان ذلك سنة 325هـ / 936م (2) .

ووردت رسالة أخرى الى الناصر لدين الله من شيخ مكناسة يطلعه فيها عما قام به الاسطول الاندلسي في سواحل المغرب ، فقد استطاع هذا الأسطول أن يؤدب أهل العصيان من سكان مدينة نكور ، ثم توجه نحو جزيرة « ارشقون » التي عسر عليهم فتحها في السنوات الماضية لحصانتها ومنعتها ، لكن هذه المرة تمكنت السفن الحربية الاندلسية بمشاركة الجنود المكناسيين تحت قيادة الزعيم موسى بن أبي عافية من اقتحامها والاستيلاء عليها وعلى جميع ما فيها ، وخربوا بنيانها (3) ثم تحولوا الى مدينة جراوة التي لجأ اليها ابن أبي العيش فدارت بينهما معارك عنيفة انهزم خلالها الادريسي وعسكره وفروا متعلقين بالجبال الوعرة وظل الأسطول الاندلسي يجوب البحر وينتقل من ثغر الى آخر على طول سواحل المغربين الأوسط والأقصى حتى ارتجت له ارض العدوة حسب قول ابن حيان (4) .

ويبدو أن الانتصارات التي احرزتها الجيوش المغربية الاندلسية على جنود الشيعة وحلفائهم غيرت من ميزان القوى في المنطقة ، لذلك خلع الادارسة طاعة الفواطم وتسابقوا في تقديم طاعتهم وولائهم لصاحب قرطبة فقد وصل اليه كتاب من ابراهيم بن محمد الحسني رئيس بني محمد يعتذر فيه عما قدمه من مساعدات الى الجيش الفاطمي ويبرر تصرفه هذا بأنه وليد الخوف من بطش ميسور وجنوده وحرصا منه على أرواح رعيته وحرمتهم ، كما أبدى رغبته في مصالحة موسى بن أبي العافية فرد عليه الناصر بالقبول والموافقة (5) . اذن وجد الأمويون في الأندلس عونا لهم في المغرب على

---

(1) نفس المصدر والورقة

(2) نفس المصدر ورقة 153

(3) ابن حيان المقتبس ورقة 153 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 277 .

(4) نفس المصدر ، ورقة 161 .

(5) نفس المصدر ورقة 152 .

درىء الاخطار المدلهمه في الفاطمين ، واستفادوا من مساندة قبائل البربر المقيمة في المغربين الأقصى والأوسط ، بفضل موقع مضاربها الجغرافي ولاسيما منها قبيلة مكناسة الضاربة في المغرب الاقصى ومغراوة وبني يفرن من زناتة البترية التي تمتد رقعتها غرب بلاد الجزائر ووسطه ، حيث تشرف على حدود افريقية التابعة للفاطمين .

وقد عززت بلاد المغرب مساعدتها العسكرية بتأييدها السياسي للخلافة الاموية بالاندلس وهو أمر حيوي بالنسبة للخلافة الوليدة ، واضحت هذه القبائل سنداً قوياً للأمويين ، تصد كل الاخطار الداهمة من افريقية ، ولم تقف عند حد الدفاع فقط ، بل أخذت تهدد المهدية عاصمة الفاطميين ، وكفلت بذلك للاندلس الهدوء والرخاء والاستقرار.

وظل عبد الرحمن الناصر لدين الله يتوسم الخبر في هؤلاء المغاربة ، ويتلقى منهم التقارير ، تقريرا تلو آخر دونما انقطاع عن أحوال المنطقة وما يجري بها . وكذلك كانت تأتيه الرسائل من المغرب حاملة له أسمى عبارات الود والتقدير والاخلاص والتعاون ، بالاضافة الى الانباء العامة لهذا البلد ، فقد ورد كتاب من موسى بن أبي العافية يعلمه بما تم بينه وبين محمد بن خزر زعيم زناتة من مصالحة ، فقد أنهيا كل الخلافات المتعلقة بالمنافسة على الأعمال حتى يتفرغا للعدو المشترك ، وهم المشارقة في افريقية وتاهرت . وتدعيما لهذه المصالحة المغراوية المكناسية فقد توجاها بالمصاهرة (1) .

كما تضمنت رسالة موسى هذه أخبار الانشاء العمراني ، الذي بدأه منذ عودته من الصحراء وان البنائين والمهندسين الأندلسيين ومساعديهم على وشك انجاز بعض أعمالهم كما سأله تعويض هذه المجموعة بمجموعة أخرى لان الاولى سئمت طول الغربة والبعد عن أهلهم وأولادهم ووطنهم ، ولم يغفل في رسالته ان يطلب منه مساعدة عسكرية أخرى تشمل مائتي فارس بمعداتهم ليستعين بهم في حربه ضد أعدائه الادارسة العلويين (2) .

وعندما نكبت مكناسة بوفاة زعيمها وشيخها موسى بن أبي العافية في شهر ذي الحجة سنة 326 هـ / 937 م (3) بعث ابنه مدين الى الخليفة عبد الرحمن الناصر

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 162 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 162

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 165 وقيل انه قتل في بلاد ملوية سنة 341 / 952م ـ أنظر السلاوى ج 1 ص 82 .

يخبره بذلك ، فرد هذا الاخير معربا ومعبرا له عن عميق حزنه بفقدان واحد من اكبر حلفائه ، وأرفق خطابه هذا كتاب تعيينه على أعمال أبيه وأشرك معه في الولاية أخاه منقذا بن موسى فسر الاخوان ووجها اليه بدورهما رسالة جددا فيها بيعتهما وولاءهما للعاهل الاندلسي وبرفقتها هدية ثمينة (1) .

وفي هذه السنة أيضا بعث الناصر لدين الله هدية الى الخير بن محمد الزناتي تدعيما للصداقة والتحالف ، عبارة عن ثياب من الخز العبيدي ، المختلف الصنعة والالوان ، وست وثلاثين شقة مطرزة واثنين وعشرين ثوبا ، واربع وعشرين عمامة من عمائم الخز الرفيع (2) .

اكتسب عبد الرحمن الناصر ولاء جديدا ، وتأييدا من القائد الشيعي حميد بن يصل المكناسي ، الذي خدم الدولة الفاطمية مدة طويلة ، وأصبح من أكبر قوادها في المغرب ، فقد لجأ هذا الأخير الى محمد بن خزر حليف الأمويين في الاندلس ، وبعث بولائه الى الناصر ، فأجابه بالقبول ، واوسع عليه بالعطايا والهدايا ، ورفع منزلته حيث عينه قائدا لقواته في المغرب (3) الاوسط وأجاز الى الأندلس ، فاقام عنده مدة ثم أعاده الى مهمته في المغرب . وكان انحياش حميد بن يصل للامويين يوم الخميس 26 من شهر رجب سنة 328هـ / 939م (4) .

وتدعيما للعلاقة الطيبة والوثيقة بين المغاربة والأمويين فقد استقبل الناصر لدين الله في بلاطه بقرطبة في شهر شعبان من سنة 328هـ / 939م وفداً يترأسه محمد بن مدين بن موسى المكناسي وعمه فرج بن موسى ، استقبالا كبيرا ورحب بهم وأكرمهم وانزلهم بقصر «البنتيل» (5) شرقي قرطبة ، وجاء هذا الوفد لتجديد البيعة وتوثيق الصلة بين زعيم مكناسة وخليفة قرطبة ولما سألوه الانصراف الى بلدهم ضاعف لهم الهدايا والخلع ، وأرسل معهم الى حليفه مدين بن موسى من الصلة والكسوة والحلية والثياب والفرش

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 165

(2) ابن حيان : المقتبس ، ورقة 165

(3) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 54

(4) ابن حيان : المقتبس ورقة 176 ـ ابن خلدون : العبر ج 7 ص 54

(5) انفرد ابن حيان يذكر «قصر البنتيل» وشرق قرطبة حافل بمثل هذه القصور التي ترجع الى أصول قديمة ، ولعله القصر المسمّى : Penolcazar (Coria)

مالا يقدر بثمن . وعادوا من قرطبة الى بلادهم في شهر ذي الحجة اى بعد ثلاثة اشهر قضوها ضيوفا في كنف الناصر لدين الله (1) .

وفي هذه السنة أيضا أشخص عاهل الاندلس قاضيه منذر بن سعيد الى المغرب لحسم النزاع الذي نشب بين الخير بن محمد بن خزر الزناتي ، ومدين ابن موسى بن أبي العافية المكناسي بسبب تنافسهما على سلطان الغربين الاوسط والاقصى ، وقد أدَّى بهما هذا النزاع الى استعمال السلاح فنشبت بينهما حرب شديدة (2) .

ولما طالت الحرب بينهما ولم يتغلب احدهما على الآخر ، كتب كل واحد منهما الى الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله بقرطبة يستحكمه في الامر ، فلم يتردد هذا الاخير ، وبعث الى عبد الله بن الخير عم الخير بن محمد الزناتي ، والى داود بن مصالة المكناسي كبير اصحابه يأمرهما بمساعدة رسوله القاضي المنذر بن سعيد في مهمته ، وقد كللت مهمة هذا القاضي القرطبي بالنجاح ، حيث استطاع أن يصلح ما فسد بينهما ، وان يسكن غضبهما ، وتم ذلك كما أراده بفضل ، حكمته ودبلوماسيته البارعة وعاد بعدها الى الأندلس (3) .

واهدى صاحب قرطبة الى الخير بن محمد بن خزر بهذه المناسبة هدية ثمينة عبارة عن صنوف مختلفة من الكسى الفاخرة ، والامتعة الرفيعة ، وآلات حربية متباينة من دروع ، وتروس ، ودرق ، والوية ، وطبول وما اشبه ذلك .

كما أهدى له ايضا خاتما من خواتمه الخاصة من الفضة الزمردية الرفيعة القدر ، نقية الجوهر ، منقوش عليه اسمه ليختم به رسائله أثناء الكتابة (4) .

وفي آخر ذي القعدة من هذه السنة (328) قدم الى قرطبة وفد من وجوه سكان جزائر بني مزغني (5) من اعمال الشيعة يحمل كتابا الى الخليفة عبد الرحمن الناصر ،

---

(1) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 176

(2) ابن حيان : المقتبس ورقة 176

(3) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 176 ـ ابن خلدون : العبر ، ج 6 ص 278

(4) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 176

(5) جزائر بني مزغني او مزغنا او مزغنان او مزغنای هي منطقة الجزائر عاصمة الجمهورية الجزائرية الحالية وفي كل هذه الاسماء (فتح الميم) ، ومزغنى اسم لقبيلة بربرية سكنت هذه المنطقة في القرن الثاني الهجرى الثامن الميلادي ، وهي بطن من صنهاجة ـ أنظر كتاب : نور الدين عبد القادر : صفحات في تاريخ الجزائر من اقدم عصورها الى انتهاء العصر التركي ص 31 ـ ط . قسنطينة 1965 م .

يخطبون وده وولايته ، ويسألونه الدخول في طاعته والانضواء تحت نفوذه ، ويلتمسون منه ايفاد عامل من عماله ليقوم بشؤونهم في بلدهم فاستجاب صاحب قرطبة لطلبهم ولم يتوان في ذلك ، وعاد الوفد الى المغرب في عقب ذي الحجة من السنة المؤرخة (1) .

ولم تقف مساعدات عبد الرحمن الناصر لحلفائه في المغرب عند حد الشؤون العسكرية والسياسية والاقتصادية والعمرانية بل تعدت هذه النواحي الى الشؤون الصحية ، فقد كان يهتم أيضا بشؤون عماله ويسهر على راحتهم ، فابن حيان يروي لنا أنه وصلت رسالة الى الناصر من أبن أبي العيش يلتمس منه فيها انفاذ طبيب من أطبائه لعلاجه من مرض ، انتابه فجأة ، ولان أطباءه عجزوا عن تشخيص هذا المرض الذي أقلقه ،فاخرج اليه الناصر طبيبه الخاص . سليمان بن عبد الملك المعروف بابن باج الطبيب ، بعد ان أباح له خزائن الطب وسمح له بان يحمل معه ما يصلح لعلاج علة أبن أبي العيش التي ذكرها فاخذ ابن باج الطبيب معه انواعا كثيرة من الادوية والاشربة والعقاقير وعبر الى المغرب وأقام عند ابن أبي العيش حتى عالج مرضه ثم عاد الى قرطبة (2) .

تدعيم الناصر لثورة أبي يزيد الخارجي :

ابتدأ أمر أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الخارجي كما تذكره بعض النصوص سنة 316هـ 928م (3) ، والظاهر أنه لم يتمركز الى الحد الذي يستطيع فيه الاعلان عن ثورته في وجه عبيد الله المهدي في هذا التاريخ . وظل أبويزيد يدعو لقتال الفواطم سرا مختفيا في كثير من مناطق المغرب الاوسط ، بين جبل اوراس ـ معقل الثوار ـ وبني برزال بجبال المسيلة الى أن كان الوقت الذي وصل فيه مع صاحبه أبي عمار الاعمى الى جبل اوراس ونزلا على النكار بالنوالات (4) ، واجتمع الى أبي يزيد الخارجي القرابة وسائر الخوارج وبايعوه على قتال الشيعة ، واتفقوا معه أن يصير الامر شورى بينهم ان هم تمكنوا من الاستيلاء على المهدية والقيروان (5) . وكان ذلك سنة

---

(1) ابن حيان : المقتبس ورقة 176 ـ 177 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثاني ص 43 .

(2) ابن حيان : المصدر السابق ورقة 177

(3) ابن عذارى : ج 1 ص 93 .

(4) النوالات جمع نوالة : اكواخ تبني من القش والطين

(5) ابن خلدون : العبر ج 7 ص 28

331هـ / 942م عندئذ أقدم أبو يزيد على تفجير ثورة شاملة وغزا افريقية فاسرع اهل أفريقية بالانضمام اليه وبخاصة أهل السنة منهم ، وهم زعماء المعارضة الدينية في البلاد وكانوا يرون في حرب الفاطميين انتقاما لهم وجهادا في سبيل الله (1) .

واستطاع أبو يزيد خلال ثلاث سنوات تقريبا ان يجتاح افريقية وان يقضي على نفوذ الشيعة في المغربين الاوسط والاقصى اثر سلسلة من العمليات الحربية ، أفنى فيها كثيرا من جنود الشيعة حتى وصل أبواب المهدية سنة 333هـ / 944 (2) .

لكن ظهور قبيلة صنهاجة ، وعلى رأسها زيري بن مناد وتحالفه مع الفاطميين ضد عدوهم المشترك قبيلة زناتة غيرت مصير الحرب ، اذ أنه أنقذ المهدية من أستسلام محقق لابي يزيد ، وأخيرا كانت المعركة الضارية التي قررت مصير هذا الزعيم النكارى تلك التي وقعت عند أسوار مدينة القيروان سنة 335هـ / 946م وقد حاول بعدها أبو يزيد الكرة عدة مرات لكنه لم يفلح ، اذ فر بعدها الى جبال كيانة بالمغرب الاوسط ، وأختفى عند بني برزال لكن جيوش المنصور بن القائم كانت تتبعه حتى قبضت عليه متأثرا بجراحه ومات سنة 336هـ / 947 وشغلت هذه الثورة عهد الخليفة محمد القائم ، وجزءا من عهد ولده اسماعيل المنصور (324 ـ 341هـ / 945 ـ 952م) .

وكان ابو يزيد مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار ، يميل الى الامويين في الاندلس ، فابن عذارى يذكر أنه في منسلخ شوال من سنة 333هـ 944م ، قدم على الناصر رسولان من أبي يزيد ، يحملان له أخبار تغلبه على مدينتي القيروان ورقادة ، وما جاورهما وايقاعه باصحاب الشيعي فيهما ، وما يعتقده من ولاية الناصر واعتناق دعوته ، وتواصلت كتب أبي يزيد ورسله على قرطبة منذ ذلك الوقت الى حين وفاته (3) .

ففي السنة التالية (334) جلس الناصر لدين الله لوداع السفارة الثانية التي ارسلها

---

(1) محمد الشابي : دولة صاحب الحمار ، ونفوذه ، فصلة من كتاب المؤتمر الرابع للآثار في البلاد العربية (المنعقد بتونس ما بين 18 ـ 29) مايو سنة 1963 .

(2) عن تفاصيل أحداث هذه الثورة راجع : الدرجيني : طبقات المشايخ بالمغرب ج 1 ص 96 وما يليها . ابن عذارى : البيان ج 1 ص216 وما يليها ابن خلدون كتاب العبر ج 7 ص 26 وما يليها ـ د . عبد العزيز سالم المغرب الكبير ج2 ص 622 مقال : محمد الشابي الموجع السابق .

(3) ابن عذاري : البيان ج2 ص 212

أبو يزيد الى قرطبة ، وكانت تتكون من أهل القيروان ، وهم ثلاثة أفراد ، كبيرهم تميم بن أبي العرب التميمي ، فأجابهم الناصر لما طلبوا وأذن لهم بالانصراف (1) .

ويشير ابن خلدون لهذه السفارة أيضا بأن صاحب الحمار بعث رسله في وفد من أهل القيروان الى الناصر الأموي صاحب قرطبة ويعلن التزامه الطاعة والقيام بالدعوة لبني أمية ويطلب من العاهل الأندلسي ان يمده بالعون والمساعدة (2) .

وارسل أبو يزيد سفارة ثالثة سنة 335هـ / 946م الى قرطبة برئاسة ولده أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد اليفرني الاباضى ، فأكرمه الناصر وأمر بانزاله في قصر الرصافة ، وقد أعد له من الفرش والوطاء والغطاء والآنية والآلة فاقام هناك تحت نزل واسع واكرامة موصولة (3) ، وعند انصرافه امده الناصر بمبلغ كبير من المال ، لتعزيز مركز والده (4) .

ويتضح مما سبق أن الناصر لدين الله قد تدخل في الحرب الى جانب أبي يزيد تدخلا مباشرا وايجابيا ، وأنه لم يقف عند حد التأييد السلبي فقط ، بل قدم للثورة كل ما تتطلبه الحرب من عتاد ومال ، وربما يكون قد ارسل بجيوشه وقواده لمساندة هذا الثائر الزناتي (5) .

وقد بلغت هذه الامدادات والاعانات التي قدمها الناصر لصاحب الحمار مبلغا كبيرا . اذ كان الى جانب هذا يقوم بسك النقود وضربها له في دار السكة بقرطبة . ولعل ذلك كان يكلفه جزءا من ذهب الخزانة الاندلسية (6) ، وحتى ان ابا يزيد لم يكتب اسمه على الدينار ربما حتى لايثير حفيظه أصحابه الخوارج ولكي لايرتاب منه الناصر لدين الله ، الذي كان يريد فعلا بسط نفوذه على بلاد افريقية والمغرب وطرد اعدائه

---

(1) نفس المصدر ج 2 ص 212 ـ 213 ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثاني ص 43 .

(2) ابن خلدون : كتاب العبر ج 7 ص 28 ، 29

(3) ابن عذارى : المصد السابق ج 2 ص 214 ـ ابن الابار : الحلة السيراء الجزء الثاني ص 390 .

(4) احمد مختار العبادى : دراسات ص 77

(5) راجع مقال محمد الشابي : دولة صاحب الحمار ونقوده ص 597

(6) وجد (25) قطعة من الدنانير الذهبية في مدينة القيروان تحمل تاريخ 333هـ . وطول قطر الدينار الواحد 18,9 ملم ووزنه 4,20 غرام كتب في =

التقليديين الادارسة والفواطم . والظاهر انه تحمل من أجل ذلك أعباء الحرب الافريقية (1) .

وعلى الرغم من أن أبا يزيد صاحب الحمار استمر نحو خمس قرن من الزمن يقاوم الشيعة ويهدد كيان الدولة الفاطمية في أفريقية والمغرب الا ان ثورته هذه أنتهت اخيرا بالفشل وقضى عليها بقتله سنة 336هـ / 947م .

ولا أكون مبالغا اذا قلت بأن ثورة صاحب الحمار قد خدمت النفوذ الاموي في بلاد المغرب خدمة كبيرة فقد تقلص في عهدها سلطان الفاطميين الى مدينة المهدية ، وكادت ريحهم ان تذهب من أفريقية والمغرب وبالتالي انتشر سلطان بني أمية في هذا البلد أنتشارا كبيرا .

وفي سنة 332هـ/ 943م اخرج الناصر لدين الله قائده « قاسم بن محمد » الى المغرب لحرب بني محمد الادارسة ، لما اظهروا الخلاف عليه ، وبعث الكتب الى ولّيه محمد بن الخير بن محمد زعيم زناتة وغيره من أمراء القبائل البربرية الموالية له يأمرهم بالاستعداد لذلك ، وعبر القاسم البحر الى مدينة سبتة في النصف الاول من ربيع الاول . فلما تبين لأبي العيش بن محمد ، قدوم الاسطول ، اسرع الى اعلان الطاعة لصاحب الأندلس ، فعقد له القاسم الامان على نفسه ، وانفذ أبو العيش ابنه محمدا رسولا الى قرطبة ليؤكد ولاء والده فاحتفل الناصر بقدومه ، واستقبله استقبال كبار رجال الدولة وأدناه من مجلسه في قصر الزهراء ، وبالغ في تكريمه ومكث الرسول عنده نحو السنة (2) .

وأثناء استقبال الناصر لمحمد بن أبي العيش دخلت عليه وفود أخرى من الادارسة أمراء المغرب ، وانعقد في نفس اليوم كتاب أمان محمد بن ادريس ثم انصرف الوفد بعد أن أكد التزامه بالطاعة ، عائدا الى بلده (3)

= وسطه «ونبأ الله لاحكم الا الله لا اله الا الله وحده لاشريك له الحق المبين» اما الوجه الثاني الطوق الاول فكتب عليه : «والذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون» الطوق الثاني كتب عليه « محمد رسول الله بالهدى ودين الحق يظهره على الدين كله الوسط : العزة لله محمد رسول الله خاتم النبيين وهذه الآيات ما هي الا شعار الخوارج انظر : محمد الشابي : المرجع السابق ص 600 / 601 .

(1) محمد الشابي : المرجع السابق ص 602

(2) ابن عذارى : البيان ج 2 ص 213

(3) نفس المصدر والصفحة ـ ابن الخطيب : اعمال الاعلام القسم الثاني ص 43 .

وفي عقب شوال من سنة 333هـ / 944م قدم على الناصر رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي أمير زناتة في المغرب الأوسط ، ومعه رسول «حميد بن يصل» المكناسي يعلمان الخليفة الناصر لدين الله بما أحرزاه من نصر على اعدائه في «تاهرت» اذ تم لهما دخولها وأقامة الدعوه للناصر بها (1) .

وفي سنة 333هـ / 924م أمر الخليفة الناصر لدين الله قائده محمد بن رماحس عامل المرية بالخروج على راس الأسطول الى العدوة المغربية لتأديب بني محمد الادارسة ، الذين خلعوا الطاعة فتوجه محمد في ذي الحجة مزودا بخمسة عشر مركبا حربيا وشينين وفتاش وبرفقته قاسم بن طملس وعدد كبير من الحشم الى مدينة سبتة ، وعندما شاهد الادارسة القوات الاندلسية اسرعوا مقدمين الطاعة ومرسلين الرهائن مع محمد بن عبد الله بن أبي عيسى القاضي . وكان محمد بن رماحس قد استخلف مكانه على الولاية كل من ابنه عبد الرحمن وقاسم بن عبد الرحمن بن مطرف ولما انتهى من مهمته عاد الى عمله في المرية (2) .

وفي عام 336هـ / 947م وصل الى قرطبة حميد بن يصل المكناسي قادما من المغرب فاستقبله الناصر لدين الله استقبالا رسميا وأكرم مورده وأجمل موعده (3) . وفي السنة التالية جلس الناصر بقصر الزهراء لاستقبال الوفود التي وصلت الى قرطبة من المغرب في هذه السنة (337هـ / 948م) فدخل اليه «حميد بن يصل» ، ثم وصل بعده منصور ، وأبو العيش أبنا أبي العافية ، ودخل معهما حمزة بن ابراهيم صاحب جزائر مزغني ، فوصلهم الى نفسه وكساهم جميعا ثم اذن لهم بالانصراف الى بلادهم (4)

ولما وصلت الى قرطبة أخبار انتقاض بني محمد الادارسة للطاعة أمر الناصر لدين الله قائديه أحمد بن يعلى ، وحميد بن يصل المكناسي بالخروج اليهم ، فخرجا من قرطبة للنصف من شهر رجب ، وعندما وصلا بقواتهما الى الجزيرة الخضراء قدم

---

(1) نفس المصدر والصفحة

(2) العذري : ترصيع الاخبار ، ص 82

(3) ابن عذارى : البيان ج 2 ص 215

(4) ابن عذارى : المصدر السابق ج 2 ص 215

رسول من عند الادارسة الحسنيين يؤكد طاعة قومه ، والانقياد لامر الناصر في هدم مدينة «تطاون» التي لم يكن راضيا عن بنائها .

ثم وصل محمد بن أبي العيش الى الناصر لدين الله رسولا من قبل أبيه فاستقبله الناصر ، ولم يلبث محمد وهو في كنف العاهل الاندلسي ان وردت مسامعه خبر وفاة أبيه أبي العيش ، فأدناه الناصر منه وعزاه بوفاة والده ، وعقد له على عمله وصرفه سنة 337هـ / 948م الى بلده ، وكان ابن عمه «جنون» قصد الى بلده فاحتوى على ماله وأهله بعد وفاة أبيه أبي العيش واستولى على زمام الأمور ، وعندما أقبل محمد من الأندلس وسمعت المغاربة من أنصار محمد بذلك رجعوا الى عيسى بن جنون ، وقتلوا أكثر أصحابه وسلبوه ما كان قد أخذه من ابن عمه ولم يخلصه منهم الا سرعة جواده مع سبعة من فرسانه (1) .

وفي نفس العام (337هـ / 948) قدم الى قرطبة أحمد بن الأطرابلسي البوري بن موسى بن أبي العافية ليخبر الناصر بما جد في بلاد المغرب فقد استطاع الخير بن محمد بن خزر وأخوه حمزة وعمه عبد الله ومعهم يعلى بن محمد من بني يفرن أن يحتلوا مدينة «تاهرت» بعد معارك شديدة مع حاميتها التي استنصرت بميسور الفتى القائد الشيعي الذي عجز عن رد الهجوم بل أخذ اسيرا مع مجموعة من أصحابه ووقع ايضا في أيديهم عبد الله بن بكار اليفرني الذي كان قد نقض طاعة الناصر ، وتعلق بحبال الشيعة وخطب ودهم وصلتهم (2) .

ثم وصل وفد آخر الى بلاط الناصر يتكون من ابنى البوري بن موسى المكناسي ورسول من الخير بن محمد الزناتي يحملون انباء هذا الانتصار وهو قطع دابر الشيعة من مدينة تاهرت فقرىء كتابهم بجامعي قرطبة والزهراء (3) .

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 216

(2) ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 216 ـ ابن خلدون : العبر جـ 7 ص 54

(3) ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 217

وفي آخر جمادى الآخر من سنة 343 هـ / 954 م وصل الى قرطبة فتوح بن الخير بن محمد بن خزر رسولا من قبل أبيه ومعه عدد من وجوه تاهرت ووهران ، يحملون رؤوس قواد المشارقة الشيعيين يتقدمها رأس ميسور الخصي ورأى محمد بن ميمون وغيرهما من رؤوس اعلام الشيعة وقوادهم وعشرة من بنودهم أخذت منكسة معها عدد من الطبول ، فرفعت هذه الرؤوس والبنود والطبول على باب قصر قرطبة ، واوسع عبد الرحمن الناصر اكراما على الوفد (1) .

على أن النزاع بين الفاطميين والامويين ، الذي ظل فترة طويلة يعتمد على الحرب الباردة القائمة على التسلح ، واحتلال المواقع الاستراتيجية الهامة ، واثارة الفتن بين قبائل البربر ، وتدبير المؤامرات والدسائس من خلف الستار ، أى أنه كان عبارة عن صراع مسلح بين المغاربة الموالين للفواطم ، والمغاربة المؤيدين للامويين في الاندلس ، ولم تتحدث النصوص حتى ذلك الوقت عن نشوب حرب فعلية ومباشرة بين قوات الخلافتين المتنازعتين سواء منها القوات البرية او القوات البحرية الى ان تطور الامر بينهما في سنة 344هـ / 955م ، فاتخذ العداء مظهرا قويا في عهد المعز لدين الله الفاطمى ، حيث لم تمض على توليه الخلافة سنتين فقط واشتعلت نيران الحرب بينه وبين العاهل الاندلسي ولم تنقطع الا في فترات ، وقد وصف لنا نص تاريخي ابتداء هذه المعارك بأن الناصر لدين الله انشأ مركبا وسيره نحو المشرق يحمل أمتعة بقصد التجارة فلقي في البحر مركبا فيه رسول من صقلية الى المعز لدين الله الفاطمي فقطع عليه المركب الاندلسي الطريق ، واخذ ما فيه ، كما اخذوا الكتب الموجهة للمعز وبلغ ذلك صاحب المهدية فجهز اسطولا الى الاندلس وقوده الحسن بن علي عامله على جزيرة صقلية فوصل الاسطول الى المرية واحرق جميع ما في مينائها من المراكب ، وأخذ الحسن ذلك المركب الكبير بعد عودته من الاسكندرية وفيه جوار ومغنيات وامتعة لعبد الرحمن الناصر لدين الله صاحب الاندلس ، ونزل من في الاسطول الى بر الاندلس ، فقتلوا ونهبوا ورجعوا سالمين الى المهدية (2).

---

(1) ابن عذارى : المصدر السابق جـ 2 ص 218

(2) ميشال امارى : المكتبة الصقلية ، ص 411 / 412 ط لبسيا 1887م ـ مؤلف مجهول : العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، جـ 4 القسم =

ويبدو أن الدافع الاساسي الذي جعل المعز لدين الله ينتقم من الامويين في هذه المعركة هو تلك الرسالة التي استولى عليها قائد المركب الاندلسي من سفينة الفاطميين ويرجح المستشرق دوزي ان تكون هذه الرسالة تتضمن خطة مدبرة لهجوم فاطمي على الاندلس ، والظاهر أن قائد السفينة الاندلسي كان على علم بخطورة هذه الرسالة فلم يتردد في الاستيلاء عليها (1) .

وكان رد فعل عبد الرحمن الناصر لدين الله أن أمر باطلاق اللعنة على ملوك الشيعة على جميع منابر الأندلس ، وانفذ الكتب بذلك الى سائر عماله (2) ولم يلبث عبد الرحمن ان جهز اسطولاً وأمره بالخروج الى بلاد افريقية ، فلما وصل الى شواطئها خرجت اليه عساكر المعز فاقتتلوا قتالا عنيفا ثم عادوا الى الاندلس (3) . والظاهر ان هذه الحملة لم توفق في غارتها على سواحل افريقية فعادت ادراجها (4) . لذلك أمر الناصر لدين الله مملوكه غالب بن عبد الرحمن الناصري بالابحار في اسطول كبير في السنة التالية (345هـ / 956م) نحو شواطىء أفريقية ، وكان هذا الاسطول يتكون من سبعين سفينة فهاجم مدينة الخزر (القالة حاليا) واضرم النار فيها كما اتجه نحو منطقة طبرقة غرب مدينة بنزرت التونسية وتعداها الى مدينة سوسة شمال مدينة المهدية فخربهما (5) ، هذا وعلى صعيد المغرب الأقصى والأوسط لم يتوقف الناصر لدين الله عن امداد قواده ومواليه بالجند والأسلحة والأموال ، لمقاومة جيوش الشيعي المعز لدين الله الفاطمي ، وتجريد اسطوله نحو الموانيء المغربية حتى يرهب عدوه ، ويؤدب الادارسة الذين ما انفكوا يعلنون عصيانهم كلما سنحت الفرصة لذلك ، فابن عذارى

= الثاني ص 199 ـ راجع د . احمد مختار العبادى وعبد العزيز سالم : البحرية الاسلامية في مصر والشام ، ص 65 ، د . محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ص 219 وما يليها . دار الفكر العربي 1967 .

(1) Dozy: Histoire des musulmansd'Espagne, T. 2., p. 165.

د . احمد مختار العبادى : دراسات ص 80 ـ حسن ابراهيم حسن ، طه شرف : المعز لدين الله ص 39 .

(2) ابن عذارى : البيان جـ2 ص 220

(3) ميشال امارى : المرجع السابق ص 414

(4) H. Ibrahim Hassan: Relation, p. 22.

(5) ابن عذارى : البيان جـ 1 ص 221 ـ انظر : العيون والحدائق في اخبار الحقائق جـ 4 ص القسم الثاني ص 208 حيث يذكر ان عدد الاسطول بلغ (90) سفينة .

يشير الى أنه ورد كتاب الى الناصر لدين الله سنة 344هـ / 955م من يصل بن حميد قائده في أرض المغرب يخبره بما تم له من نصر على الجيش الفاطمي ، وقد قتل من رجاله العدد الكثير ، كما يذكر أيضا أنه وصل في نفس الوقت الى قرطبة أبن عم حميد بن يصل ومعه ستة وثلاثون رجلا من وجوه قبيلة كتامة الذين لجؤوا اليه فارين من جيش المعز لدين الله ، جاءوا الى قرطبة يعلنون طاعتهم للناصر ، فجلس لهم على سريره بقصر الزهراء واستقبلهم استقبالا حسنا ، وأمر لهم بالخلع ، ووصلوا بصلات جزيلات وأمروا بالرجوع الى القائد حميد بن يصل (1) .

وفي سنة 345هـ / 956م خرج القائد قاسم بن عبد الرحمن من قرطبة الى حميد بن يصل في بلاد المغرب حاملا له أحد عشر حملا من المال ، واحمالا أخرى من العدة ، لتقوية الجيش في دفاعه عن نفوذ الخلافة الاموية في المغرب وقد وصل اليه في الخامس من شهر صفر من السنة المذكورة ، واستطاع حميد بعد هذه الامدادات ان يستولى على منطقة تلمسان (2) .

لم يسكت الخليفة الفاطمي المعز لدين الله عن هذه الغارات التي وجهها صاحب الاندلس الى سواحله ، كما لم يبق مكتوف الايدي امام ما يقوم به من توسعات في المغربين الاقصى والاوسط ، فاضطر في سنة 347هـ / 958م (3) ان يبعث قائده جوهرا ، الصقلى الى المغرب لاخضاع البربر لسلطان الفواطم والقضاء على النفوذ الاموي فيه ، وقد نجح جوهر في اكتساح المغرب الاوسط والاقصى واخضاع البربر لسلطان مولاه (4) ، ولكنه لم يستطيع أن يحتل القواعد الاموية الساحلية . فابن عذارى يذكر أنه وصل الى مضيق سبتة ولكنه لم يقدر عليها ، فتوجه نحو سجلماسة ، فدخلها وقتل أميرها محمد بن الفتح الملقب بالشاكر لله .

وبقي جوهر يجول في ارجاء المغرب نحو السنة ثم عاد بعدها الى افريقية (5) . وقد حرص عاهل الاندلس على أن يبعث صاحب شرطته القائد أحمد بن يعلى على

---

(1) ابن عذارى : البيان جـ 2 ص 220

(2) ابن عذارى / البيان جـ 2 ص 221

(3) نفس المصدر جـ 1 ص 222 ـ العيون والحدائق جـ 4 القسم الثاني ص 213 213 .

(4) مؤلف مجهول : مفاخر البربر ص 5

(5) ابن عذارى : المصدر السابق جـ 1 ص 222

رأس الأسطول الى السواحل الخاضعة لسلطان الشيعة ليؤازر موانيه ضد هجوم جرهر الصقلي . ولما وصل احمد بن يعلى الى مدينة «آسلان» ـ من عمل تلمسان ـ وجد القائد الشيعي جوهر قد قتل يعلى بن محمد بن صالح اليفرني صاحب مدينة «افكان» بتلك النواحي غدراً ، فعاد الى قرطبة وبرفقته ولد ابن قرة ابن عم يعلى بن محمد المقتول ، الذى قدمه قومه بني يفرن عليهم . فبالغ الناصر في اكرامه (1) .

ولم يكتف صاحب الأندلس بهذا بل أوصل الى نفسه حريز بن منذر في جماعة من وجوه الموالى والعرفاء ، ورجال الجند يأمرهم جميعا بالخروج الى مدينة «سبتة» مع فتاه «بدر» صاحب السيف ليتصدى لحملة جوهر الصقلي في بلاد المغرب فعبروا الى «سبتة» ومكثوا بها الى ان تحول جوهر عنها ، فانصرفوا بعد ذلك يتقدمهم بدر عائدين الى قرطبة في أواخر ذي الحجة سنة 348هـ / 959م (2) .

ولايفوتني أن أشير الى أن الناصر لدين الله كان له اصدقاء ومؤيدين في جنوب افريقية ، حيث تسكن مجموعات من الخوارج الاباضية التي كانت تدين بالولاء المذهبي والسياسي للرستميين ـ حلفاء بني امية ـ في تاهرت ولما انقرضت هذه الدولة على يد الفواطم ، صار هؤلاء الخوارج يدينون الى مشايخ العلم «والعزابة» . الذين كان لهم تنظيم اداري وديني خاص ، لايخضع للسلطة المركزية الفاطمية (3) . ورغم انهيار السلطة السياسية للاباضيين فان القوة المذهبية ، ظلت كما هي عليه من قبل لم تضعف رغم الاضطهاد الشيعي لهم .

وكان شيخهم في ذلك الوقت أبو القاسم يزيد بن مخلد الاباضي ، قتله المعز لدين الله الفاطمي لارتيابه منه في أنه يعمل في السر للقضاء على دولته ، فثارت ثائرة

---

(1) ابن عذارى : البيان ج 2 ص 222 ، مفاخر البربر ص 4

(2) ابن عذارى : المصدر السابق ج 2 ص 222 / 223 .

(3) العزابة هيئة دينية تمثل أعلى سلطة دينية في المجتمع الاباظي لها سلطة روحية مطلقة وقرارها غير محدود وغير مردود ، منهم الخطيب والمفتي ، والمؤذن ، بل كل الوظائف الدينية تتجسم في هذه الهيئة ويتعدى اختصاصها احيانا الى الامور الدنيوية ، ويمر اعضاؤها بمراحل حيث يبتدئون اعضاء في هيئة «الاروان» أو الطلبة وهي ادنى سلطة تتكون من الطلبة الحفظة للقرآن الكريم الى ان يصلوا الى مجلس العزابة وليس للتسمية مدلول اجتماعي كما هو عند المسيحيين القساوسة ، فالعزابة يتزوجون ويمارسون حياتهم الدينية على اوسع نطاق .

الاباضية لمقتله ، ويصف ذلك الدرجيني بقوله : «ولما قتل ابو القاسم عظمت المصيبة فيه عند جميع أهل الدعوة ، وبلغ فيهم قتله مبلغا عظيما» (1) . فأخذوا يمهدون لثورة شاملة ضد الفواطم ، وارسلوا بعض المشايخ الى مختلف مناطق تجمعات الاباضية في مزاتة وورجلان والزاب ونفوسه وطرابلس ، وجربة وغيرهم يحفزون الهمم ضد الفواطم ويوغرون الصدور عليهم ، ويجمعون الأموال والسلاح والرجال للقضاء على الفاطميين ، وقد تزعم هذه الحركة شيخان من كبار شيوخ الاباضية في ذلك الوقت هما : أبو نوح سعيد بن زنغيل ، وأبو خزر يعلا بن زلتان (2) .

اجتمع هذان الشيخان مع بقية شيوخ الاباضية واتفقوا على مكاتبة بني أمية في الاندلس ، بشأن المعز لدين الله الفاطمي ، ويلتمسون منهم المساعدات ويذكر الدرجيني بقوله : «فاتفق رأى الشيخ واصحابه على ان يكاتبوا بني أمية في شأن ابي تميم (المعز لدين الله) ويستنهضوهم ليكون قيامهم عليهم ، وبنوأمية بجزيرة الاندلس ، فأمروا ابا نوح بأن يكتب الكتاب فكتبه عنهم بما أرادوا من الرأى ، ووجه الكتاب الى بني أمية فأخذ الكتاب في الطريق ، فانتهى به الى أبي تميم فقرأه فازداد حنقا» (3) .

تحالف الناصر مع اعداء الفواطم من ملوك الغرب والشرق :

سلك الناصر لدين الله سياسة اسلافه في محالفة اعداء أعدائه من اباطرة الشرق وملوك الغرب ضد الدولة الفاطمية فقد تحالف مع ملك ايطاليا «هوج دي بروفانس Huges de Provence الذي كان يرغب في الانتقام من الفاطميين بسبب توجيه الخليفة الفاطمي الثاني أبي القاسم القائم قائده على بن اسحاق الى جنوب ايطاليا حيث ضرب ميناء مدينة جنوة (4) .

---

(1) الدرجيني : المصدر السابق ج2 ص 127

(2) الدرجيني : المصدر السابق ج 1 ص 127 ، الشماخي : السير ص 349 عبد العزيز مجدوب الصراع المذهبي ص 215 .

(3) الدرجيني : طبقات المشائخ في المغرب ج2 ص 127ـ الشماخي : كتاب السير ، ص 349 نسخة بخط مغربي .

(4) ابن ابي دينار : المؤنس ص 51

وكذلك تحالف مع إمبراطور بيزنطة قسطنطين السابع الذي كان هو الآخر يريد ان يعيد جزيرة صقلية الى حظيرة الامبراطورية ، فقد استقبل الناصر لدين الله سفارة هذا الإمبراطور في شهر صفر سنة 338هـ / 949م ، وكان يوم وصولهما الى قرطبة يوما مشهودا وقد اشادت به المصادر الأندلسية وبالاحتفالات الفخمة والحفاوة البالغة التي استقبلت بها (1) .

وتشير بعض المراجع الى ان الناصر لم يقف عند هذا الحد ، بل استعان ببعض سفن ملك ليون Léon لإستعمالها في هجوماته على السواحل الافريقية (2) .

كما تؤكد بعض المصادر الفاطمية عن وجود اتفاق بين الناصر لدين الله وامبراطور بيزنطة على محاصرة الدولة الفاطمية وتطويقها من الشرق والغرب ، ويقول في ذلك القاضي النعمان : «بعد أن كتب الناصر الى طاغية الروم يسأله النصرة ، وأهدى اليه هدايا وارسل اليه رسلا من قبله فأجابه الى ذلك ، وجاءت أساطيل الروم من القسطنطينة ، ومراكب بني أمية من الاندلس» (3) .

والظاهر أن المصادر الاسماعيلية كانت مغالية في حكمها على هذه المعاهدات التي ابرمت بين الناصر لدين الله ، وأباطرة بيزنطة ، اذ رمته بالتواطؤ الحربي المشترك مع دولة مسيحية ضد الفاطميين ، والراجح انها كانت على غرار المعاهدات السابقة التي أبرمت بين الأمير عبد الرحمن الأوسط ، والأمبراطور البيزنطي ثيوفيل سنة 225 / 840 وهي تقوم على ترك الحرية لأصدقاء الدولة الاموية في قتال عدوهم المشترك لكن فيما يبدو بدون ارتباط معهم في العمليات الحربية (4) .

كما عمل الناصر لدين الله على توطيد صلاته وعلاقته مع الاخشيديين في مصر ، فقد بعث اليهم مبلغا من المال يقدر بعشرة آلاف دينار لتوزيعها على فقهاء المذهب المالكي لمحاربة الدعوة الشيعية هناك ، والجدير بالملاحظة هو أن صاحب المدرسة

---

(1) المقرى : نفح الطيب جـ 1 ص 343 وما يليها .

(2) H. Ibrahim Hasan : Relation, p. 22.

(3) القاضي النعمان : كتاب المجالس والمسايرات جـ 1 ص 226 مخطوط بمكتبة آداب القاهرة تحت رقم (26060) د . احمد مختار العبادى : دراسات ص 78 ـ د . حسن ابراهيم حسن وطه احمد شرف : المعز لدين الله ص 40 .

(4) د . احمد مختار العبادى : المرجع السابق ص 78 .

المالكية في مصر في تلك الفترة من أصل اندلسي هو أبو اسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطبي ، وكان هذا العالم المالكي يذم مذهب الفاطميين وتصرفاتهم ، ويتمنى الموت قبل ان يرى أقدامهم تطأ ارض مصر ، وبالفعل فقد ادركته المنية قبل احتلالهم لها بنحو ثلاث سنوات أي سنة 355هـ / 946م (1) .

وقد ذكرت قبل هذا كيف أن صاحب مصر ، كان على اتصال بمحمد بن خزر زعيم زناتة ، وكيف انه عبر له عن سروره ورضاه برسالة ارسلها له بمناسبة مبايعة عبد الرحمن الناصر ، وهكذا حرص عبد الرحمن على احاطة نفسه بالاصدقاء والحلفاء ، الذين اشتركوا جميعا في عدائهم للفواطم ، ليضمن لنفسه استمرار مقاومتهم ومحاولة طردهم من المغرب ، وهذا ما حدث ، فقد شعر الفاطميون بأن أرض المغرب غير مستقرة تحت اقدامهم وان الخطر يحف بهم من جميع النواحي ، ولاسيما من جهة اولئك البربر المغاربة ، وكثرة تقلباتهم وغارات بني أمية ودسائسهم ومؤامراتهم ، وعليهم ان يتداركوا هذا كله ، فيبدأوا يفتشون عن مكان آخر يكون اكثر مأمنا واستقرارا لهم (2) . أما عبد الرحمن الناصر فقد نجح في سياسته التي سلكها مع المغاربة فغدت بلاد المغرب الاقصى وجزء من بلاد الجزائر (المغرب الاوسط) تحت سلطانه .

---

(1) ابن الابار : الحلة السيراء جـ 1 ص 201 ، والحاشية رقم (1)
د . محمود علي مكي : التشيع في الاندلس ، ص 32 ـ د . احمد مختار العبادي : دراسات ص 79 .

(2) راجع الدرجيني : المصدر السابق جـ 2 ص 138 ـ حيث يذكر توصية المعز لدين الله لبلكين بن زيرى عندما عزم الرحيل الى مصر وقال له : «أسفني اولاد المجوس زناتة ومزاتة واعلم اني تركت لك بافريقية مائة الف منزل فمتى هممت بمحاربة عدو فاجعل على كل منزل فارسا واحدا فانك تكتفي بذلك حرب من تريد حربة ويريد حربك» .